منشىء المجلة
انطون الجميّل

الزهور

المدير المسؤول
امين تقي الدين

الجزء الثامن   ديسمبر (كانون الأول) ١٩١٣   السنة الرابعة

الاوقاف في القطر المصري

تاريخها ونظامها وناظرها الجديد[1]

أُنشئَ ديوان الأوقاف لأوّل مرّةٍ على عهد المغفور لهُ محمد علي باشا الكبير جدّ الاسرة الخديوية بموجب الأمر الصادر سنة ١٢٥١هـ =١٨٣٥م. وما لبث أن صدر أمرٌ بالغائهِ بعد ثلاث سنوات. ثمّ أُلِّفَ للمرّة الثانية فى ١١ رجب سنة ١٢٦٧ هـ = ١٨٥١ م بناءً على قرار المجلس الخصوصي الذي صدر بأمر المرحوم عباس باشا الأوّل. وكان هذا القرار يشتمل على عشر موادّ، خلاصتُها:

« أن يُطلبَ من نظّار الأوقاف الخيرية بيانٌ عن أعيان الأوقاف الجارية في نظارتهم وما يتجمّعُ من إيرادها ووجوه إنفاقها، وما يفضلُ بعد ذلك منها لمراجعتها. وأُطلِقَ على ذلك اسم « المحاسبات »؛ وأن يكونَ النظّارُ مسؤولين عما يحدثُ من العجزِ في الأعيان، وأن يُحالَ

(١) اعتمدنا في المعلومات والارقام التي نوردها في هذا المقال كتب الاحصاء الرسمية وتقويم الحكومة المصرية وتقرير ديوان الأوقاف

أمرُ من يُخالِفُ منهم شرطَ الواقفِ الى المحكمة الشرعية ، حتى إذا ثبتَ للقاضي اختلاسهُ ، عزلهُ وولىّ بدلاً منهُ ؛ وأن تتكفَّل الحكومةُ بنفقات الديوان من ماهيَّات المستخدمين وغيرها ، لأنَّ شرطَ الواقفين يقضي بأن لا يُنفَقَ شيءٌ في أي وجهٍ كان مماَّ لم يعيِّنهُ الواقفُ »

واستمرَّ الديوانُ في مراجعة المحاسبات الواردة من نظاَّر الأَوقاف لغاية سنة ١٢٧٥ هـ = ١٨٥٨ م إذ أُحيل اليهِ بعضُ أوقافٍ ذات إيراد فقضت الحاجةُ حينذاك بإنشاء خزانةٍ خاصَّةٍ بهِ

وفي السنة التالية صدَرَ قرارٌ آخرُ على عهد المرحوم محمد سعيد باشا يقضي بأن يُنفَقَ من خزانة الأوقاف ماهيَّات المستخدمين مباشرةً ، وأن تُسدِّدَ المالية للديوان قيمة ما يُنفقهُ في هذا الباب

وفي سنة ١٢٧٧ هـ = ١٨٦٠ م صدرَ أمرٌ عالٍ جاء فيهِ : أنَّ نفقاتِ الديوان تبلغ ٤٧٧٠٢ قرشاً يؤدّي ديوانُ الأوقاف منها ١٩٢٣٤ قرشاً ونصف قرش مما يخصصه على ايرادات الأوقاف التي يبلغ ايرادها ٩٨٨٩٦ قرشاً ، وتدفع خزانة الحكومة الباقي

ثمَّ صدر قرارٌ ثالث سنة ١٢٨٠ هـ = ١٨٦٣ م على عهد المرحوم اسماعيل باشا خديوي مصر الأسبق متوَّجاً بأمرٍ عالٍ يقضي بأن يُنفِقَ الديوانُ في ماهيَّات مستخدميهِ مبلغ ٢٠٤٧٠ قرشاً ، وأنَّ تُنفِقَ الحكومةُ مبلغ ٢٠٣٥٠ قرشاً . وباشر الديوان صرف الماهيَّات من خزانتهِ ، ووضعها ضمن النفقات التي خصَّصها على ايرادات الأوقاف

ومن هذا العهد أخذ ديوان الأوقاف ينمو ويزداد في الارتقاء ، لأن

أوقافاً كثيرة من مصر والأقاليم أُحيلت اليهِ ، وذلك بعد صدور الفتوى الشرعيـة بأنَّ كلَّ ناظرِ وقفٍ يموتُ أو يختلسُ يُحال ما تحتَ يدِهِ من الوقف الى الديوان . وأول ما اتَّصل بهِ من هذا القبيل ما كان من الوقف تحت إدارة ذنون آغا دار السعادة بأمرٍ من الخديوي اسماعيل باشا سنة ١٢٨٠ هـ = ١٨٦٨ م . وفي السنة نفسها أُضيفت الى الديوان أوقاف الحرَمين بعـد أن كان لها ديوانٌ خاصٌ تحت نظارة المرحوم ابرهيم أدهم باشا . وما زالت الأوقافُ تُحال الى الديوانِ وقفاً بعد وقف حتى أربت على المئة وقفٍ في سنة ١٢٨٩ هـ = ١٨٧٣ م

وفي تلك السنة صَدَرَ أمرٌ عالٍ بانتخاب خمسين شخصاً من نجباء الطلبةِ ، من سنّ العشرين الى الثلاثين ، بعـد امتحانهم ليكونوا معلّمين للّغة العربية والتركية في المدارس الأهلية ، وأن يُدرَّسوا هم في دار العلوم الملحقة بالكتبخانة ما يلزم لإتمام دروسهم ، وأن يُعيَّنَ لكلٍّ منهم مدَّة التعليم مئةُ قرشٍ شهرياً . وكان ذلك أولَ ما درج بهِ ديوانُ الأوقاف من الأعمالِ الخيريةِ في المنفعةِ العامَّـةِ

ولما اتسعت دائرة أعمال الديوان ، وأصبح مصلحةً مهمَّةً ذات أقلامٍ عديدة رأى أُلو الأمر أن يحوّلوهُ الى نظارةٍ سنة ١٢٩٦ هـ = ١٨٧٩ م ، وعيّن محمود سامي باشا البارودي المشهور ناظراً للأوقاف في وزارة رياض باشا . وهكذا جُعِل ديوان الأوقاف لأوّل مرَّة نظارةً من نظارات الحكومة كما جُعِل الآن

ثمَّ صدر أمرٌ عالٍ في ٢٣ يناير سنة ١٨٨٤ باعادة نظارة الأوقاف

مصلحةً قائمةً بنفسها . ومفادُ ذلك الأمر أنّهُ من الواجب أن تكونَ الأحكام المختصَّة بمسائل الأوقاف مطابقةً للأحكام الشرعية ، فلا ارتباطَ لها بالنظارات الموكول اليها النظر في الأمور الإدارية والسياسية ؛ ولذلك اقتضت الإرادة جعلها إدارةً قائمةً بذاتها وأن تكون الأوامر التي تصدرُ بشأنها من الجناب العالي مباشرةً

وفي سنة ١٨٩٥ وُضِعت لديوانِ الأوقافِ لائحةٌ يجري عليها ويرتبطُ بقيودها ، وقضت تلك اللائحةِ بوضعِ ميزانية منتظمة على الطريقة التي تسير عليها الحكومة في ميزانيتها

ولمّاً أخذت المالية في مباشرة هذا الأمر وجدت أمامها عقبةً حائلةً دون الوصولِ الى الغرَضِ ، وهي أنهُ كان في ديوان الأوقافِ حسابٌ خاصٌّ بكل وقفٍ ، فكانت الطريقة الحسابية عبارةً عن حساباتٍ متعدِّدةٍ بقدر عدد الأوقاف التي تحت إدارتِهِ ، وكان لا يستطيعُ وفاءَ ما يظهرُ من العجزِ في إيرادات الأوقافِ الفقيرة بأخذهِ عن زيادةِ إيرادات الأوقاف الغنية . فصدر أمرُ مجلس النظّار بتعيين لجنةٍ من العلماءِ لدرس المسألة وتوحيد الحسابات . وصدرت الإرادة السنية سنة ١٨٩٦ باتّباع الطريقة التي أفتى بها العلماء ، وهي أنَّ الأوقافَ الخيريةَ تنقسمُ أقساماً بحسب وجوهِ إنفاقها ، وأنَّ ما يزيدُ في إيرادات تلك الأقسام عن نفقاتها بعد وفاء ما يظهرُ من العجزِ في أيّ قسم من أقسامها يتكوَّن منهُ مالٌ احتياطي لا يمكن التصرُّف فيهِ إلاَّ بأمرٍ عالٍ يصدرُ بناءً على طلب مدير الأوقاف بعد أخذ رأي مجلس الإدارة أو المجلس الأعلى حسب الحال .

وقد استثنيت من ذلك أوقاف الحرَمين

وبناء على المادّة ٥٧ من اللائحة ، انتدبت نظارة المالية حضرة جورج بك طلاماس لمراجعة حسابات الديوان، فوُضعت نماذج الدفاتر والاستمارات للأعمال الحسابية بالاتفاقِ بين المندوب ورجال الديوان

وقد نصّت اللائحة الصادر بها الأمر العالي المؤرّخ فى ١٣ يوليو سنة ١٨٩٥ على اختصاص الديوان بما يأتي :

١ً — إدارة الأوقاف التي تؤول الى الخيرات وليس النظر مشروطاً فيها لأحد

٢ً — إدارة الأوقاف التي لا يُعلَمُ لها جهة استحقاق

٣ً — إدارة الأوقاف التي ترى المحاكم الشرعية وجوب إحالتها الى الديوان موقتاً بضمّ مديرِهِ ناظراً مع ناظر الوقف

٤ً — إدارة الأوقاف التى يُقامُ الديوان حارساً قضائياً عليها

٥ً — ادارة الأوقاف التي يَرغبُ نظّارها ومستحقوها في إحالتها الى الديوان من تلقاء أنفسهم

أمّا الوظيفة الدينية والأدبية التي يُؤدّيها ديوان الأوقاف فإنّهُ يُقيم الشعائر الدينية في المساجد ، ويُنفّذُ شروطَ الواقفين في وجوهِ البرّ التي عيّنوها ، ويبذلُ المساعدةَ على نشر التعليم بالمدارس والكتاتيب والمعاهد العلمية ، ويُديرُ ملاجئ أُنشئت للعجزةِ والبائسين ، ومستشفيات وعيادات طبية مفتوحة للفقراء مجاناً ، ويعدُّ بالمرتبات السنوية عدّةَ جمعياتٍ خيرية ومدارس صناعية ، ويتولّى بالصدقات الشهرية مؤاساة كثيرين

من أهل البيوت ذوي الخصاصةِ ممن أخنى عليهم الدهرُ بصروفهِ ، ويتصدَّقُ أيضاً على الفقراء وابناء السبيل في أيام المواسم والأعياد

أمَّا إيراداتُ الأوقاف فقد بلغت في سنة ١٩٠٢ — ٢٤٦٠٠٠ جنيه مصري ، وبلغت في العام الماضي ٥١١,١٠٠ جنيه ، فتكون الزيادة في مدة عشر سنوات ٢٦٥,١٠٠ جنيه

وقد زادت أيضاً النفقات تبعاً لنموّ الإيرادات ، فإنها كانت منذ عشر سنوات ٢٠٩,٣٦٢ جنيهاً فبلغت في العام الغابر ٤٨٠,٨٠٥ جنيهات

ويُدير ديوانُ الأوقاف ١٤٣٥ مسجداً في القطر المصري ، منها ٥٣٠ مسجداً في مدينة القاهرة وحدها . ويبلغ عدد خَدَمةِ هذه المساجد ٨٠٤٧ بين مشايخ ومدرّسين وأئمة وخطباء ومؤذّنين وميقاتيين وقرّاء وملاحظين

أمَّا المعاهد العلمية الدينيـة التي يُنفق عليها الديوان فهي الجامع الأزهر (١) ومشيخة علماء الاسكندرية (٢) ومشيخـة الجامع الأحمدي (٣) ومشيخة الجامع الدسوقي ومشيخة علماء دمياط (٤) ، فيها ٦٤٠ عالماً ونحو ٢٠,٥٠٠ طالب

(١) انشئ الجامع الازهر بأمر جوهر القائد عامل الخليفة الامام المعز لدين الله رابع خلفاء الفاطميين وكان الفراغ من بنائه سنة ٣٦١ هـ = ٩٧٢ م

(٢) في ٢٧ ابريل سنة ١٩٠٣ صدرت ارادة سنية من الجناب العالي الخديوي عباس باشا حلمي الثاني انشاء معهد علمي في الاسكندرية يكون التدريس فيه ملحقاً بنظام التدريس في الجامع الازهر

(٣) انشأ هذا المسجد الشيخ عبد المتعال بعد وفاة شيخه العارف بالله السيد احمد البدوي سنة ٦٧٥ هـ وجدّد بناءه علي بك الكبير احد ولاة مصر سنة ١١٨٣ هـ

(٤) أسس هذا المعهد في ثغر دمياط الملك الأشرف السلطان قايتباي حوالى سنة ٨٨٠ هـ

ويتبع ديوان الأوقاف ١٥١ مكتباً محالة ادارتها الى نظارة المعارف العمومية مقابل مبلغ ٢٤٫٦٧٧ جنيهاً يدفعهُ الديوان للنظارة . ويصرف أيضاً مبلغ ١٥٠٠ جنيه بصفة اعانات لمدارس يُراقب إدارتها ، هذا عدا الاعانات المخصَّصة لبعض المدارس الأهلية

وللأوقاف ١١ مستشفى وعيادةً طبية يُنفق عليها في السنة نحواً من ١٧٠٠٠ جنيه ، وهي مستشفى الجذام ومستشفى الأزهر ومستشفى قلاون ، وعيادات المنشية ومصر القديمة وبولاق وطنطا والاسكندرية والبعثة الطبية الحجازية ومخزن الأدوية العمومي والمستشفى العبأسي

ويُدير الديوان من التكايا والملاجئ : تكية المدينة المنوَّرة ، ومكة المكرَّمة ، وطره في مصر ، وتكية النساء في مصر أيضاً ، والقباري في الاسكندرية ، وملجأ الأطفال في مصر ، ويبلغ ما يُنفقهُ عليها في السنة ٢٢٠٠٠ جنيه تقريباً ، وعدد الفقراء والمعوزين الذين يقيمون فيها أو تُصرف لهم الأغذية منها ٧٢٤٥

وتبلغ الإعانات التي يمنحها في السنة للمدارس والجمعيات الخيرية حوالي ١٣٥٠٠ جنيه ، منها ٥٠٠٠ جنيه للجامعة المصرية ، و١٠٠٠ لجمعية رعاية الأطفال ، و٢٠٠٠ لملجإ الأيتام بالاسكندرية ، و١٠٠٠ لمدارس الجمعية الخيرية الاسلامية ، و٥٠٠ للكتبخانة و٥٠ لجمعية الرفق بالحيوان . الخ

ويُدير ديوان الأوقاف ، غير الأوقاف الخيرية وأوقاف الحرَمين الشريفين ، أوقافاً أهلية تُحال اليهِ ، بعد تقريرهِ في النظر عليها من قِبل القضاة الشرعيين . وتبلغ هذه الأوقاف ٤٦٥ وقفاً ، يأخذُ الديوان من

مواردها ١٠ في المئة رسم إدارة بموجب لائحة الإجراءات ويُديرهـا كما يدير الأوقاف الخيرية سواء بسواء

***

هذا ما يسمحُ المقام بذكرهِ عن ديوان الأوقاف الذي صدرت الإرادة السنية في الشهر الغابر بتحويلهِ الى نظارةٍ من نظارات الحكومة يرأسها الوزيرُ الهمام المدبّر أحمد حشمت باشا ناظر المعارف السابق . ويرى القارىء مماً تقدّم أنّ المجالَ واسعٌ لرجلٍ كحشمت باشا أن يسير بالأوقاف على المنهاج الذي سار بهِ في المعارف ، فانهُ بعث اثناءَ السنوات القلائل التي قضاها في تلك النظارة روحاً جديدة في اللغة العربية بتنشيطهِ التأليف في هذه اللغة ، وتوسيع التعليم بها ، وبتقريبهِ كتّابها وأُدباءها وشملهم برعايتهِ وتزويدهم بارشاداته ونصائحه ، فرأينا نهضةً حقيقيةً للتأليف في فروع العلوم والآداب كافةً ، ولا شكَّ في أن تاريخ النهضة الحديثة في الآداب العربية سوف لا ينفكُّ مقروناً باسم حشمت باشا . والآمال معقودة الآن على همة هذا الوزير العامل بأنهُ سينهض بالأوقاف ويزيدُ في نموّها ومنفعتها إدارياً وأدبياً ، فنرى لهُ فيها من المآثر ما رأينا لهُ في المعارف ، فلا يُلاقي غداً إلاّ ما لاقاهُ بالأمس من الثناء على همتهِ البعيدة ، وإطراء إدارته الرشيدة



رحلة صيف (١)

ذهبتُ الى الاسكندرية، وفي تقديري أن أقضيَ ثمّتَ يومين، وفي تقدير الله أن أقضيَ شهرين. فما هو إلاّ أن خلَت ليلةٌ حتى باغتني داءٌ، فضربَ وأثقل، ثم تمكّن فأعضل، ثم أناخَ بكلكل. فلمّا صحوتُ بعد أيام من سكرتهِ، ونجوتُ من مضطرَب غمرتهِ، نهضتُ ببقية الجسم الباقية، كما تُلبس الخرقة البالية، وعرضتُ نفسي على الباخرة، فالباخرةُ تحملني إمّا الى الشرق وإما الى الغرب. فقيل: مكانَك يا هذا الخيال! إنّ الباخرةَ لا تستقلُّ باكٍ في زمن وباء، وقد تستقلُّ بأشباه الجبال

قال الطبيب: فعليك بالمكس! حَسُنَ هواؤها، وجلّ رواؤها. فقصدتُ المكس وما ادراك ما هي الآن

هي إحدى ضواحي الاسكندرية، قليلةُ المساكن حقيرتها، تمتدُّ سلسلة أبنيتها مستطيلةً بين شاطئ البحر والرمل. الهواء فيها جافٌّ نقيٌّ عاصف، والبحرُ شديد الخفوق لا يملُّ من مداعبة الصخور بتثل خشونة الضواري في تداعُبها. والمنظر على الجملة بديعٌ في مطلع الشمس وفي مغربها؛ وللشمس فيها تجلّياتٌ باهرةٌ خلالَ الغمام، وللغمام تشكُّلٌ وتلوُّن فاتنان، وللأفق تأنُّقٌ عجيبٌ في ترتيبٍ قدر المنطقة التي يتحزّم بها وابرازها في ابدع زينةٍ بين الورديّ فالبنفسجيّ فالفستقيّ فالزمرديّ فاللازورديّ

(١) كتبت هذه المقالة في نوفبر ١٩٠٢

فالسنجابيّ ، فما بينها من الالوان التي تُلطِف اجتماعها وتزيدها بهاءً على التنويع

ومن محاسنِ المكس أنَّ الحكومةَ مهملتُها ، فهي من أجل هذا لم تزل قطعةً من الطبيعة يعيشُ فيها الانسان ، كما يُحبُّ أن يعيش المتمتع طالبُ الراحةِ . فاذا مرَّ في طريق ، فالطريقُ غيرُ ممهَّدَة ولا مستقيمة ولا محفوفةٍ بصفَّين من الشجر يحجبان النظرَ ، كما تُحجبُ عيون الخيل التي تجرُّ المركبات ؛ بل هي ضيِّقةٌ فواسعة ، صاعدةٌ فمنحدرة ، رملية فحجرية ممتدَّةٌ فمنعطفة ، فيها للسائرِ ما لا يألفهُ فيستجدُّهُ كلَّ آنٍ . وفيما حولها من المسافات المفتوحة ما ينطلق معهُ النظرُ على مدى البحر الفسيح تارةً ، وعلى مدى الرملةِ الوعساء طوراً

رأيتُ في خلال إقامتي بالمكس بعضَ الأشياء التي تجدرُ بالذكر

رأيتُ الملاَّحاتِ وعامتُ للمرَّةِ الاولى علمَ الشهادةِ والتحقيق كيف يُصنَعُ هذا « المصلح » الذي يُصلِح غذاءَنا ، وينزلُ من حاجيّات حياتِنا في المنزلة الأُولى ، حتى أن الأمصارَ التي لا يُوجد فيها وتستوردهُ من بعيد على ظهور الدواب تتداول قطعَهُ تداولَ النقود

واني لاستحيي أن أصف بالدقة كيف يُصنع الملحُ ، لأنَّ أجهلَ الناسِ يتصوَّرُهُ . ولكنني لا أخاف القولَ إنَّ البلادةَ مستحكمةٌ في قلوبنا ، نحن الشرقيين ، متمكنةٌ من لحمنا ودمنا الى حدّ أنَّنا لا نتكلَّفُ الرؤيةَ ولو عن كَثَبَ ، لنعلمَ مِن دقائق الأمر ما لم يُلمَّ بهِ تصوُّرُنا إلماماً تاماً من مجرّد الأخبار

رأيتُ أيضاً مصطنَعَ الحجارةِ الضخمة المربَّعةِ التي تُعَدُّ لإتمامِ جدارِ الرصيف الشرقي بالاسكندرية ، وقد تمَّ منها ألوفٌ يجدُها الناظرُ معروضةً على خَطٍّ مُستطيل ، وهي تُحمَلُ على ظهورِ البواخرِ بواسطةِ مرفعةٍ بخاريةٍ منصوبة على رأس صخرة متقدّمة في البحر

رأيتُ حيث ينتهي النظر من المكس شبه قريةٍ ذات خضرةٍ تدعى « العجمي » عاقني عن تفقّدها ضعفُ الجسم ؛ فسألتُ أحد ساكنيها ، فقال إنّها لا مزيّةَ لها عن سائر القرى المجاورة الاّ بشيء : وهو أن البحرَ يمدُّ هناك ذراعاً ، ثمَّ يعطفهُ عطفة الضمّ والتطويق ، فينزع قطعةً من الأرض عن أمّها ، ويُحدث منها جزيرة . وفي الجزيرة مقامٌ لوليٍّ يُعرف بالعجمي ، وهذا المقامُ غاصٌّ بالمراكب الصغيرة المُهداةِ اليهِ نذوراً ، والنواتي يعتقدون أنهُ شفيعُهم ، وأنهُ ببركة هذه النذور يرقُّ لهم ويُنقذهم من أخطار البحر

ما أحوجَ الانسانَ الى الإيمان !

هذا كلُّ ما رأيتهُ من جانبٍ ؛ أمَّا من الجانب الآخر ، وهو الذي ينتهي اليهِ « الترام » قادماً من الاسكندرية ، فالذى استلفتني أمران :

أحدهما وجودُ حمَّام هناك واسع متقن ، ومنتدَيَين للشرب ، هذا من خشبٍ قائم فوق الحمَّام ، وذاك مبنيٌّ من الحجر على شكل سرادق رحيب ، بينهُ وبين الحمَّام خطواتٌ . وفي كل مساء يستقدم أصحاب هذين المنتدَيَين جوقتَي موسيقى لإطراب الحضور ، الواحدة منهما أرمنية تضرب ألحاناً شرقية وألحاناً غربيــة ، والأُخرى إفرنجية تضرِبُ ألحاناً افرنجية

مختارة باتقان لا تبلغهُ الأولى. ولكنّ الحانة الأولى التي فوق الحمَّام يزدحم الناس فيها ألوفاً كلّ يوم ، بخلاف الأخرى التي بجانبها ، فلا يجتمع فيها الاّ أفرادٌ . ولو شئتُ أن أفصّل أسباباً لنجاح هذه وفشل تلك ، لفعلت؛ ولكنّ مذهبي أن السبب الذي ترجع اليه تلك الأسبابُ بجملتها هو نفس السبب الذي تشقى به أحياناً أمةٌ صالحةٌ وأرضٌ خصبة وعملٌ متقن ، وتسعد بهِ أمةٌ فاسقةٌ وأرض قحلةٌ وعمل ناقصٌ . فسمّهِ ماشئت

ويذكرني نجاحُ قهوةِ الحمَّام قهوة أخرى أنشئت في المنازل منذ تسع سنين ، اي حينما مُدّ الخطُّ الحديديُّ الى المكس ، فكنّا إذا شئنا التنزُّهُ ركبنا القطارَ الى المنازل ، ووجدنا الناسَ مزدحمين وقوفاً وجلوساً ، والمكاسبُ تتدفقُ على صاحب المكان من كلّ صوب . فلما افتقدتها هذه المرّة وجدتُ خربةً ساكنة يتحرّك في بعض جوانبها آناً بعد آن فاعلٌ يحمل تراباً أو صانعٌ يضربُ قطعة خشب ، كما تتحرّكُ الجرذانُ الجسيمة في بعض الخرائب العتيقة

ذلك أنَّ وجود «الترام» قتلها ، لأنهُ عطّل الخط الحديدي، فأبطلهُ ، و « الترام » لا يمتدُّ اليها ، بل هو بعيدٌ عنها . فأيُّ سببٍ نردّ اليه أمثال هذه الانقلابات التي تكون في عالم الغيب ثم تفاجئُ من حيث لا تظن

أما الأمر الثاني الذي استوقفني وشجاني ، فهو ما رأيتهُ على كثيبٍ ممتدٍّ شبه القتَبْ بين البحر وبين طريق « الترام » من المدافع القديمة ادوات الدفاع عن مدخل الثغر

تدلُّ مراكزُ هذه المدافع على انها كانت منصوبةً وراء القتَب ، كما

تُنَسّقُ الإِبَرُ في ورَقَتِها، وكلُّها من الطراز الضخم، اذا اقبل عليها الناظرُ من بعيد ظنَّها بعض الوحوش الضارية من اسدٍ ونمرٍ وفهدٍ ،فاذا دنا منها لم تزُلْ مهابتها من قلبه ، ولكنه رأى الموت قد مدَّ عليها كفناً من اشعّة النهار وانداء الليل،ثم طبع عليها اصابعَهُ،فهي منقَّطة بنقط صفراء نحاسية، وخضراء طحلبيّة ، على قشر عاتم صادئ ، ومنها ما انكسرت له ساق ، فانقلب على جانبهِ، ومنها ما اصابتهُ ضربة في شفتهِ ، فانشقّت والتوَت ، ومنها ما أدلى بعنقهِ الطويل الى التراب كأنه يعضُّهُ في احشائهِ

منظرُ موتٍ وخراب وعار .

دنوت من هذه الاشياء وانا اسيفٌ أُرسل النظرة الى الغيب ،فأرى بها أُمم الشرق كلّها مجتمعة تدبُّ ديب الحشرات لاصقةَ الجباه بالارض من الضعف والجبن ودناءة المطالب ، وأطلق الزفرة من صدري ، فأؤبن بها مجداً عظيما ملأ العالم زمناً ، ثم دفنهُ ذووه في بعض زوايا التّرك والاهمال ، ووكلوا الى الذين اُبتلوا بهِ قديماً أمر البحث عنهُ وجلاء آثاره التي غالها الصدأُ وغشيَها نبات النسيان ، حتى نخرها الى الصميم، واذرفُ العبرة فأبكي سماء اُنطوت طيَّ الجلباب ، ونجوماً غارت في التراب ، ومعالم عامرة صارت الى تباب

ثم وضعتُ رجلي على عنق الكبير من تلك الضواري الجامدة ، وأثقلتُ وطأتَها عليهِ وقلتُ : يا ايها الأسد جُعِلْتَ للزئير فاستنبحوك ، وللافتراس فكمّوك ، وللوثب فقيّدوك؛ فلينسجِ العارُ عليهم مثل ما نسج على جلدك .فاذا نهشتك الايامُ نهش الكلاب الشلوَ، فليشهد عليهم كلُّ

أثرٍ في البلاد من بعدك . فانهم خفضوا رايةً ، واضاعوا جيشَ بَرٍّ ، وأغرقوا اساطيل بحر ، وأذلوا أمة ، وأضاعوا وطناً

هذا كل ما في المكس من قديم وحديث وهو قليل ؛ غير ان مناظر الطبيعة فيها غاية ما يُتمنَّى ؛ ونقاوة الهواء وصفاء الطبع وسلامةُ المعيشة من المصطلحات المزعجة المتعبة افضلُ وسائل التعافي والسرور ونشاط النفس

خليل مطران



الزهور — في « ديوان الخليل » بضعُ صفَحاتٍ شعريّةٍ عنوانُها « حكاية عاشقَين » بدأت في سنة ١٨٩٧ وانتهت في سنة ١٩٠٣ . والمقالةُ التي نشرناها في الصّفحاتِ السابقة انما كتبها « خليلٌ » في أوخر عهدِهِ بتلك الحكايةِ يومَ ذهبَ الى رَملِ الاسكندرية مستشفياً من داءَين كانا قد ألمّا بهِ ووصفَهما وصفاً بديعاً ملئهُ عواطِفُ نفسٍ حزينةٍ يائسةٍ في قصائدَ من أجود الشعر نختارُ الأبيات التالية من إحداها ؛ قال :

إنّي أقمتُ على التعِلّةِ بالمنى　　في غُربةٍ قالوا تكونُ دوائي
إن يَشفِ هذا الجسمَ طيبُ هوائِها　　أيُلطِّفُ النيرانَ طيبُ هواءِ
عَبَثٌ طوافي في البلادِ وعِلّةٌ　　في عِلّةٍ مَنفايَ لاستشفاءِ
متفرّدٌ بصبابتي متفرّدٌ　　بكآبتي متفرّدٌ بعنائي
شاكٍ إلى البحرِ اضطرابَ خواطري　　فيُجيبني برياحهِ الهوجاءِ
ثاوٍ على صخرٍ أصمَّ وليتَ لي　　قلباً كهذي الصخرةِ الصمّاءِ
يَنتابُها موجٌ كموجِ مكارهي　　ويَفتُّها كالسُقم في أعضائي
والبحرُ خفّاقُ الجوانبِ ضائقٌ　　كَمَداً كصدري ساعةَ الإمساءِ

تغشي البريّةَ كدْرَةٌ وكأنّهـا صعِدتْ الى عينيَّ مِن أحشائي
والأُفقُ مُعتَكِرٌ قَرِيحٌ جفنُهُ يُغضي على الغَمرَاتِ والإِقذاءِ



ولقـد ذكرتُكِ والنّهارُ مُودِّعٌ والقلبُ بينَ مَهابةٍ ورَجاءِ
وخواطري تبدو تجاهَ نواظري كَلْمى كدامِيَةِ السَّحابِ إزائي
والدَّمعُ من جفني يَسيلُ مشعشَعاً بسنى الشعاعِ الغاربِ المترائي
والشمسُ في شفَقٍ يَسيلُ نُضارُهُ فوقَ العقيقِ على ذُرًى سوداءِ
مرّت خلالَ غمامَتين تحدُّراً وتقطّرتْ كالدَّمعـةِ الحمراءِ
فكأنَّ آخِرَ دَمعةٍ للـكونِ قد مُزِجَتَ بآخِرِ أدمعي لرِثائي
وكأنني آنستُ يَوميَ زائلاً فرأيتُ في المرآةِ كيفَ مسائي



❋ الإنتقاد ❋

بينَ نَقْدِ المؤلّفات هنا ، ونقدِها هناك فرقَانِ : أحدُهُما يتعلّق بالنّاقِدِ والآخر يتعلّق بأثرِ النقد في الأذهان . أمّا الأوّل فهو أن الناقد هناك ينتقـد الـكتاب من حيث ذاتِهِ ؛ فلو لم يكن للـكتاب صاحبٌ لا نتقدَهُ ، وهنا ينتقدهُ باعتبار شخص مؤلفِهِ . أي أنهُ ينتقِدُ الـكتاب بل صاحبَ الكتاب في كتابه . وأمّا الثاني ، وهو أثرٌ طبيعي للأوّل ، فهو أنّ للانتقاد هناكَ أثراً ظاهراً في الـكتاب من حيث رواجه وكساده ، وشهرتِهِ وخمولِهِ . فكما يقول المنتقد يقول الناس بقولِهِ . وهنا يمرُّ الانتقاد بالاذهان مرًّا فلا يبقى من آثارِهِ فيها إلاّ أثرٌ واحـد وهو أن الكتاب جليل القدر سني القيمة ! !

مصطفى لطفى المنفلوطى



انيبــال (١)

هو قائد من أهل قرطجنة ولد فيها سنة ٢٤٧ قبل المسيح ومات سنة ١٨٣

يجدرُ بنا أن نعرضَ عن الكلام في حياة الاسكندر المكدوني الذاهبة على غير طائل وجدوى ، ونأخذَ في ذكر حياةٍ لا يفضلها حياةٌ نبالةً وحماسةً : ألا وهي حياة القائد انيبال فنقول :

هو الرجلُ الذي آتاهُ اللهُ جميعَ مواهبِ العقلِ ، وجودةِ الطبع ، وزيّنهُ بأفضلِ ضروب الاستعداد التام لإتيان أشرفِ المساعي ، وأسمى الأعمال الخطيرة

وُلدَ في بيت قادةٍ اشتهروا بالذود والدّفاع عن استقلال مدينتهم ، حتى المماتِ . وكانت روحهُ كأنها نوعٌ من المعدن قد صيغَ في وسط اتون البغض والحقد المتّقد حول رومة بجزلِ مطامعها . واذ بلغ التاسعةَ من عمره فارقَ قرطجنة وصحب أباهُ الى حيث كان مثوى اجداده قصدَ ان يحيا و يموتَ في محاربة الرومان . فدالٌّ ذلك ان الأعمال الحربية كانت مرتاد أمانيهِ ومرمى همهِ . فاعتاد منذ صغره الرُّقادَ في ساحات الوغى ومواطن القتال ليكفَى بهذا الاعتياد الوجعَ في عُنُقِهِ من تعادي خَشِنِ الوساد ، وفي سائر جسمه التبرُّم من الاضطجاع على مثل شوك القتاد وليأمن مظانَّ المخاوف ، ويتمرَّنَ لبُّهُ على تدبُّر الأعمال الحربيــة بحيث يكونُ ، في أعظم الأهوال وأشدِّ الحروب ، أفضلَ من غيرهِ في أصفى الأحوال والأوقات . ثم بعدَ وفاةِ أبيــهِ « أميلكار » العظيم ، وصهرهِ « أسد روبال » اللذين قضيا نحبهما قتيلين في حومات الوغى ، انتخبه الجيشُ القرطجني قائداً عاما ، مع أنَّ سنيهِ لم تتجاوزِ الست والعشرينَ اذ ذاك ، خلافاً لرأي مجلس الملاء القرطجنى ، لأنهُ كان ينفسُ على بيت بركا – بيت انيبال – عظمَ مكانتهِ وشهرتهِ

ولما استولى انيبال على قيادة الجيش جعلَهُ مثلهُ ممتلئاً حقــداً وحنقاً على الرومانيين ، ومُحرِزاً إقداماً وثباتاً بليغين . ثم زحف بهِ في أكباد اوروبا ، وكانت

(١) تابع المقابلة بين نابوليون ومشاهير الرجال

حينئذٍ مجهولةَ المسالك، كأواسط أفريقية الآن ، واجتازَ جبالَ « البيرينه » وجبال « الألب » في ثمانينَ ألفَ جنديٍّ ، وقد فقد منهم أكثرَ من خمسين ألفاً في مسيره الشاقّ الشاسع الخارق العادة ؛ واستمرَّ سائراً لا تصدُّهُ الصعابُ والعقباتُ المتنوعة اعتقادَ وجوبِ محاربةِ رومة في بلادها ، للتمكن من الاستحواذ عليها ، الى أن دخل ايطالية ، مشيراً على رومة أتباعها ورعاياها . فوثب على القواد الرومانيين واضطرَّهم الى مزايلة مراكزهم ومعسكراتهم الحصينة ومنازلتهِ، بتظاهره باستصغار شأن بعض القوَّاد ، والاستخفاف بقلة شجاعتهم ، وبما زيَّن لكبرياء وخيلاء قوم آخرين منهم ؛ وما زال بهم حتى ظهر عليهم شيئاً فشيئاً وكاد يكبتهم ويقهرُهم كافةً ، لولا أن تصدَّى له قِرْنٌ مكافئٌ له في الشدَّةِ والبأسِ ، وهو «فابيوس» الذي أشار بأنَّ من الواجب أن يُقاومَ هذا الجبارُ ليس بقوَّةِ السلاحِ في وقائع حرب لا يطمع منها بالغلبة عليهِ ، بل بفضل الثبات الذي هو من فضائل رومة الحقيقية

ولما رأى انيبال غلطتهُ بانكالهِ على « الغاليين » لعدم ثباتهم ، وتحقق عدمَ إمكانهِ أخذ رومة ذهب الى جنوب ايطاليا ، وكانت البلادُ ثمَّةَ متمدّنة وحكوماتها متألفةً من مجالسِ أشرافٍ مستبدَّةٍ برعاع الشعب ، فخضد شوكةَ الشرفاء مع كونه شريفاً ، وسلّم مقاليدَ الحكومة الى الشعب ، وجعل مدينة « كابو » عاصمة حكومتهِ ، متباعداً نزيهاً عن الملاهي والملاذّ خلافاً لما توهم أو أوهم كثيرٌ من المؤرّخين، اذ أنهُ لم يكنْ يعرفُ مواردَ الترفِ والتلذّذ ، ولم يذُقْ طعمها في كل حياتهِ . ثم جدَّد نشأةَ جيشهِ وأغناهُ بمسلوبات فتوحِ البلدان . وما منعه خذلانُ أهل وطنهِ اياهُ ان استدعى اليهِ بشعوب الأرض وشبَّ الحربَ في اليونان وآسيا مستثيراً سكانَ الدنيا قاطبةً لمقاومة الرومان . وما زال مدَّةَ اثنتي عشرة سنة فاتكاً بكلِّ جيشٍ روماني يخرُج لقتالهِ ، ولهُ من نفسهِ ناصرٌ معين ، وهو رابط الجاش ، رسوخ القدم في ايطاليا ، حتى أنَّ الرومانيين باتوا قانطين من جلائه عن بلاد ايطاليا

ولكن أتى يومٌ نقلوا فيهِ مراكزَ القتالِ ومواقفهُ الى أفريقية ، تحت أسوار قرطجنة ، فاستغاثت بهِ مدينتهُ ، فخرج يقاتلُ العدو بجيشهِ المتضعضع جيشاً منظماً

جديداً ، فنكص جدُّهُ الباسق ونقص حظّه السابق ، فلم يجد بدًّا من ان يدين « لسيبيون » الجديد الطالع نزولا على حكم الدهر وتقلبات الأيام ، فعاد متحسراً متقطعاً الى وطنهِ ، وجعل يسعى في لمّ شعثهِ وإصلاح أحواله ، ليصيرَ قادراً على نزال الرومانيين كرّةً ثانيةً . ثم وشى بهِ مواطنوه المتلبسون بالجور والاستبداد (اشياعاً الرومانيين) ، ففرَّ الى المشرق لائذاً بحمى « انطويوخوس » الكبير ملك سوريا . ثمَّ لجأ الى بلاط « بروز ياس » ملك بيثينيا ؛ فجدَّ في طلبهِ جماعةٌ من الرومان مناوئيه الى أن آيس من مداومةِ القتالِ ، فتناول سمًّا وقضى بهذا السبب . وهو آخرُ بطل من أبطال عشيرته لأنهم بأجمعهم ماتوا ميتةُ أحراراً في سبيل هذا القصد المقدَّس ، وهو مدافعة التسلُّطِ الاجنبي ومقاومته

ومن الممتنع ايجادُ مظهرِ ضعفٍ في تضاعيف حياة هـذا الرجل العجيب المتحلي بكل مزايا المروءة والعقل والإقدام . أجل لا يستطاع التماسُ مثلِ هذا الضعف او هذه النقيصة . ونحن نحاول فيـه وجود ميل ذاتي كحبّ المال او الملذّات او الطمع او غيره ولكن لا نجـدُ في الرجل الاّ ميلاً واحداً وهو بغضهُ اعداء وطنه . قد نسب اليهِ « تيت ليف » المؤرخ الروماني البخلَ والقسوة ولكن تهمتهُ هذه في غير محلها . نعم ان انيبال قد جمع أموالاً طائلةً ، ولكنه لم يستعملها قط لأغراض ذاتية ، وانما كان يخصصها لدفع رواتب جيشهِ

قلنا إنَّ أهلَ وطنـه كانوا قد تركوا نصرتهُ ، والجيش المذكور لم يعصَ قط اوامر قائده انيبال ، لما له من السطوة والهيبـة والحكمة خلافاً لأمثاله من الجيوش المؤلفة من جنود غرباء وعصابات بربرية (١) مختلفة الجنسية والوطن واللغة . وقد

---

(١) ان معنى لفظة « بربري » في الاصل متوحش او غير متمدن ، فاسم البربر يطلق على كل الشعوب الهمجية الغير الداخلة في الهيئة الاجتماعية . وكان اليونان في سالف الزمن يدَّعون التمدن لأنفسهم فقط ، ويطلقون لفظة برابرة على سائر الشعوب . اما الرومان فلما كانوا قد اخذوا التمدن عن اليونان فقد اطلقوا لفظة متمدن على انفسهم وعلى اليونانيين ، ولفظة برابرة على غيرهم من الشعوب — وتطلق الان لفظة برابرة او مغاربـة على سكان تونس ومراكش والجزائر وطرابلس الغرب في شمالي افريقيـة ولكن ليس من رابط معنوي بين الاسم الاول واسم هؤلاء الشعوب الاخيرين

أرسل انيبال الى قرطجنة عدَّة امداد ممتلئةً بالخواتم والفتخ الذهبية التي اخذها اسلاباً من قتلى اشراف الرومانيين ولكن لم نجدْ لهُ في تضاعيف التاريخ ذكرَ مُنكرَ أتاه، ولم يسفكْ دمَ انسانٍ بلا حرب. فينتج من كلامنا انّ شهادةَ المؤرخ الروماني تعودُ على قائدنا هذا بالفخر والشرف

وبالاختصار فان أقوالَ التواريخ والازمنة التي توالت بعد هذا البطل سيردّدها جميعُ الأمم والأجيال الى منقضى العالم. وذلك أنَّ مظهرَ حياةِ هذا القائد المجيد، لهو أشرفُ مظاهر الحياة البشرية في هذه الدنيا لدلالتهِ على همةٍ عالية، ومدارك سامية يندرُ وجودُها، خصوصاً حياته خلت عن كل أربٍ شخصي، واثرة ذاتية، لم يلابسها الاّ هوى فرد، ألا وهو حبُّ الوطن حتى انهُ قضى أخيراً شهيد محبته لوطنه

يوليوس قيصر

قائد روماني ولد سنة ١٠٠ قبل المسيح وتوفى سنة ٤٤ ق. م.

ها انّا موردون ترجمة شهيد آخر لم يتفانَ في حبّ وطنهِ، ولكن ذهب قتيل الطمعِ — نريد بهِ هذا الرجل العجيب المنقطع النظير، الذي لم يكن يخلو عن ضربٍ من ضروب النقائص والرذائل، وكانت حياتهُ كلها عبارةً عن سلسلة تعدّياتٍ على وطنهِ

وبالجملة فانَّ هذا الرجلَ هو «قيصر» ثالثُ الرجال العظام المشاهير في في الاقدمين. وُلدَ ونشأ وشبَّ متحلياً بصنوف الصفات، فانهُ كان شجاعاً فصيحاً لطيفاً كريماً جواداً مفرطاً في السخاء؛ بيدَ انهُ كان يؤثرُ السذاجةَ في اعماله؛ ولكن لم يكن عندَه اقلُّ همّ في ان يفرق بين الخير والشرّ، لا في العمل ولا المبدأ. وكان قصارى همهِ ومبدأ جميع أعماله طلب الغاية التي قصّر عن بلوغها

« ماريوس » و « سيلاّ » [1] نريد بها التسلط على وطنهِ . كان قصد الاسكندر الاستيلاء على جميع العالم المعروف وقتئذٍ ؛ ووقف انيبال حياتهُ كلها على وقاية وطنهِ من النشوب في عبوديةِ الأعداء. أما قيصر فكانت غايتهُ القصوى أن يملك رومة التي تفرَّدت بالاستيلاء على كلّ الدنيا تقريباً . ونراهُ قد اتخذ كلَّ الوسائل إدراكاً لهذه الغاية ، غيرَ متذمّمٍ من الاسفاف الى الذرائع السافلة ، بيدَ أنهُ لم يَردْ مواردَ الجور والجَنَف تفادياً من الارتطام باغلاط « ماريوس » و سيلاّ » . وقد تدرَّج في الخطط والمراتب من وظيفة إديل [2] الى وظيفة بريتور [3] ثم الى رتبة رئيس أحبار العاصمة ؛ وعقد ديوناً رابيةً ليرشوَ المنتخبين ، لأنَّ كلَّ هذه الوظائف كانت تُنال بالانتخاب ، واستغوى الرجال والنساء ، مستفسداً المتزوّجين وغيرهم استفسادَهُ عامة الشعب . وما كفاهُ ما أتاه من ضروب الفساد حتى عمد الى استعمال الوسائط الأدبية ، فأصبح أعظمَ خطيبٍ في رومة بعد شيشرون . وما زال حتى صار علّة عدة كثيرين من بوادر الفرَح والريب في رومة ؛ فأعيتهُ الاقامةُ بها فاتفق مع كراسّوس البخيل ، وبمبيوس المتكبر [4] ، واختصَّ نفسهُ بحكومة ولاياتِ غاليا قصدَ تدويخ هذه البلاد الواسعة ، لا ليزيدَ مجدَ رومة ، بل ليحشدَ عساكرَ قاهرةً ، ويجمع أموالاً وافرةً ، فيقضي ديونهُ وديونَ أشياعهِ

فأقام مدة ثماني سنين في غاليا يحاربُ أيامَ الصيف ، ويعودُ آونة الشتاء الى دسّ الدسائس ، ويدبّرُ من معسكرهِ في ميلانو مجرى عجرفة بمبيوس وبخل

(١) ماريوس وسيلا قائدان رومانيان شهيران بانتصاراتهما على اعداء رومة ولاسيما بشدة تعاديهما . ولد الاول سنة ١٥٧ وتوفي سنة ٨٥ ، والثاني ولد سنة ١٣٧ وتوفي سنة ٧٨ وقد استبدّا برومة على التعاقب

(٢) اديل Edile مأمور اخص وظائفه النظر في بنايات المدينة وتولي الالعاب

(٣) بريتور Préteur اي كبير قضاة رومة ، ومن كان في الولايات متقلداً مثل هذه الوظيفة يدعى حاكماً أيضا

(٤) كراسوس كان أغنى اهل عصره وبمبيوس الكبير كان اعظم الرومانيين بعد قيصر وهما قائدان رومانيان قد شاركا يوليوس قيصر في انشاء ما هو معروف تاريخاً بحكومة الثلاثة الرجال الاولى Premier triumvirat

كراسوس . وبذلك تسلّط مدة عشر سنين على مجرى الأحوال الرومانية . ثم لما توفيَ كراسوس في آسيا ، ولم يبقَ بينهُ وبين بمبيوس رجلٌ ثالث يمنع تماديهما في الطمع والبغي ، عمد أولاً الى استعمال الحيل لإرجاء القتال بينهما ، اذ كان قد شعر بسوء عاقبتهِ ، حتى انهُ لما تعذّر عليهِ مجانبةُ القتال ، اجتاز نهر روبيكون (١) وسار لمساورة بمبيوس ، وعسا كرهُ اذ ذاك في اسبانيا ، فالجأهُ الى الفرار من ايطاليا الى بلاد ابيروس ، وهناك ترك كما قال مدلاً بسطوته ، قائداً بلا جيش ، وذهب الى اسبانيا فشتت جحافل بمبيوس التي كانت بأمرة افرانيوس. ثم غادر اسبانيا ، واجتاز ايطاليا مسرعاً شاخصاً الى ابيروس إدراكاً لعدوّهِ . فصادف بمبيوس نفسه وجعل يقاتله الكرَّةَ بعد الكرة ، وكانت الوقعة الفاصلة لتلك الحرب الشهيرة سهول « فرسال » فتغلّبَ عليهِ ، واستأثر بالسلطة المطلقة ، فلاذ بمبيوس بالهرب منهُ خوفاً الى ان لاقى اجلهُ قتيلاً فى مصر

ثم إنَّ قيصر جعلَ يتعقبُ بقايا حزب بمبيوس في افريقية واسبانيا ، وقهرهم كافةً ، وفتح شمالي آسيا . ثمَّ عاد الى رومية ليتلذَّذ بثمارِ انتصاراتهِ على جميع اعدائهِ ومناوئيهِ . ثم اسَّس فيها ما يعبَّرُ عنهُ بالامبراطوريَّة الرومانية ، ولكنهُ ذهب قتيلاً بفتكةِ الجمهوريين ، لأنهُ اراد الإسراعَ فى وضعِ الاسم للمسمَّى ، بعد ان ملك العالم مدة تزيد على اربع سنوات (٢)

فما سبق ايرادهُ من اخبار هذه الحياة يرى ان كل الوسائلِ والتدابيرِ المذكورة كانت سيئة كالغاية التي سعى اليهـا قيصر . ولكن ينبغي ان يعترَف لهُ بالفضل من جهةٍ واحدة وهي انهُ قصد ان يحوّل هيئة الحكومة من كونها جمهوريَّة الى كونها امبراطوريّة . ليس بأنواع القتل وسفك الدماء ، كما فعل ماريوس وسيلاً ،

---

(١) روبيكون نهر صغير في شمالي ايطاليا قد قضى مجلس النبلاء « الشيوخ » برومة ان كل ما يعبره مسلحاً يحسب عدواً للرومانيين

(٢) يراد بالقول « وضع الاسم للمسمى » أنه أسس الامبراطورية اي سلطة شخص واحد ولكنه لم يستطع تغيير اسم الحكومة فبقي اسمها جمهورية رومانية وحين اراد المناداة بالملك قتلوه وذلك سنة ٤٤ قبل المسيح

ولكن بتعطيل الآداب الملائمة اخلاق الرومان ، وبحسب قوّةِ العقل المناسبة لسموّ مداركهِ . وبالجملة فانَّ هذا الرجلَ الغريب الذي كان من اعظم ارباب السياسةِ ، وخطيباً شهيراً وبطلاً صنديداً ، وعاتقاً في الارض فاسدَ الاخلاق ، يظلم بلا رحمةٍ ، ويرحم بغير حدّ ولا قياس ، لهُ مزيةٌ خاصة بهِ دون سواه . وهي انهُ خُلق عجيب يخبر عنهُ آخر الدهر بكونهِ ا كمل انسان وجد على الارض[1]

(للكلام صلة)

الاناشيد الوطنية

قال أحَدُ مشاهيرِ كتّابِ الانكليز « إنَّ الذي يضعُ لحناً وطنياً لقومهِ يضعُ لهم قوانينَ جديدةً » . وهو قول لا مبالغةَ فيهِ . إذ أنَّ الاناشيدَ الوطنيّةَ هي التي شحذَت السيوفَ ، وحرَّرتِ الأرقّاءَ ، وكوَّنتِ الأممَ ، ورفعتِ الممالك ، ووحَّدَت قلوبَ أهل البلد الواحد

وهي التي تُذكي نارَ الوطنيّةِ ، وتجلو صدأها ؛ يتوكأُ عليها قوّادُ الأممِ اذا أجهدَهم السيرُ ، ويهشّونَ بها على اتباعِهم اذا حادُوا عن الطريق

ينشدُها الغريبُ فيذكر قومهُ ، ويرفعُ بها المنفي عقيرتَهُ فيتذكّرُ وطنهُ . فهي روحُ الوطنية ، والوطنيةُ قوامُ البلاد ؛ وهي رسولُ الشّعور ، والشعورُ منبتُ الوطنية . وهي الصلةُ بين القلوب ؛ والقلوب منشأُ الشعور

وأفعلُ الأناشيدِ الوطنيـةِ في الأفئدةِ وأشدُّها تأثيراً على النفوس ما وافقَ لحنُهُ الموسيقيّ الفاظَهُ فامتزجا بمخيِّلةِ « الشاعر الملحّن » قبل أن

---

(١) يراد باكمل انسان وجد على الارض أنه جمع في شخصه أصناف الصفات والخلال من حسنة وقبيحة مما لا يستجمع في غيره من الناس

يظهرَ لحيّز الوجود . حتى اذا أدّى كلٌ من القلب والرأس ما يطلبهُ هذا النشيدُ منهما برزَ فكان قوّةً حيّةً تدفعُ القومَ لخدمة وطنِهم ، والذّود عن حياضِهِ ، والعملِ لرفعة شأنه

سألَ أحدُهم شاعراً من كبار الشعراء أن يُعَلِّمَهُ الأوزانَ فأجابهُ : « اذا لم يُوحِ قلبُكَ اليكَ الشعرَ فما تنظمُهُ لا يكونُ شعراً هكذا الأناشيدُ الوطنيَّة . فانها لا تَفعلُ فعلها في النفوسِ إلاّ اذا كان منشأها القلبُ

ولا أعرفُ نشيداً وطنياً تطيرَ لهُ القلوب، وتثب الأفئدة ، ويجرى الدم حارًّا في العروق عنـد سماعه ، مثل المرسليز Marseillaise نشيدِ فرنسا الوطني

لم يوضع ليكونَ نشيدَ الثورةِ الأفرنسية ، ولكنهُ هيأَ النفوسَ لها . وُضِعَ عندما كان لويسُ السادسُ عشرَ الآمرَ الناهي . فلما أعلنَ الحربَ على النمسا عام ١٧٩٢ اقترح محافظُ مدينة ستراسبرج وضعَ نشيدٍ يستفزُّ بِهِ هِمم الشبأنِ للدّفاعِ عن بلدِهم . فلبّى طلبَـهُ يوزباشي اسمهُ « روجيه دي ليل » . جادت عليه الطبيعةُ بإبداعِ الشاعرِ واُبتكارِ الملحّن . فنظمَ النشيد ولحّنـهُ بين مساء وصباحِ . وقد كانَ من تأثيرهِ على النفوسِ أن تطوّعَ في الحاميةِ المدافعةِ تسعمائة شابٍّ في يوم واحد

ولم يكن أحدٌ يحلمُ ، ولا لويسُ السادسُ عشرَ نفسهُ ، بما سيكونُ من الأهميَّـةِ للمرسيز الذي كان يُسمّى « نشيد جيش الرين » حتى مشى أهلُ مرسيليا لباريز يترنّمونَ بهِ طولَ الطريق فنُسِبَ اليهم

ولا يقلُّ نشيدُ غريبالدي عن المارسيز . ويكفي أن تقولَ في

تأثيرَهُ إنَّهُ وحَّدَ ايطاليا المبعثرة ، ونفخ فيها روحاً صيَّرتها كما نراها الآن بعد أن كانت نهباً مقسَّماً

وأيُّ إنسانٍ لا يتحرَّكُ للعملِ عند ما يسمعُ جارَهُ يُنشدُ « انهضوا يا اخواني ، واطردوا من بلادكم عدوَّها الغريبَ بالسيفِ ، وانشروا أعلامكم ، ولتفرح قلوبُكم التي تقدّمونها بفخرٍ فِداءَ وطنِكم »

أمَّا الولاياتُ المتحدةُ الأمريكية فلها من الأناشيدِ الوطنيَّةِ حظٌّ وافر . غيرَ أنَّ نشيدها الرسميُّ « منكِ يا بلادي My Country 'Tis of Thee ليسَ بالنشيدِ الذي يترنَّم بهِ الجمهور. واذا سألتَ أبناءَ الولايات المتَّحدة أن يختاروا من أناشيدهم واحداً لاختاروا بين (١) ينكي دودل Yankee Doodle و(٢) العَلَم المرصَّع بالنجوم The Star spangled Banner و(٣) جسم جون براون John Brown's Body و (٤) السير في جورجيا Marching through Georgia و (٥) ارض دكسي Dixie Land لأنَّ كلَّ هذه الأناشيد وُضِعَتْ إمَّا إبَّانَ الحربِ أو في أيام الثورة . فالنشيدان الأوَّل والثاني كانَ أوَّلُ العهد بهما في الثورةِ الأمريكيـة التي فقدت انكلترا فيها أغلى ماسةٍ في تاجها . والثالث هو الذي حرَّر عبيدَ أمريكا ، وأدار رحى الحرب الأهلية بين الولايات الشماليةِ والولاياتِ الجنوبيةِ . والرابع والخامس كانا نشيدَيْ هذهِ الولايات في تلك الحرب

ولقد لحَّنَ أحَدُ اخواننا السوريين نشيداً عنوانهُ « لأجلك يا أمريكا » ووضعَهُ بين أيدي رجال الولايات المتحدةِ للنظرِ في إحلالهِ محلَّ النشيدِ الرسميّ الحالي

ولم يحفظ التاريخ بين صفحاته ، خلافَ المرسيز وغريبالدي ، عن نشيدٍ وطنيٍّ أنَّهُ أثر في النفوسِ مثلَ « ربّنا احفظ الملك » God save the King عام ١٨٩٦ عند ما كانت تستعدُّ انكلترا لمحاربة امريكا . فانه أظهرَ ما خفي في صدرِ « جون بل » من العواطف الكامنة . وما زال منذ ذلك الوقتِ الى يومِنا هذا يُنشدُهُ البريطانيّون في انتصارهم فيملأهم فرحاً وسروراً ، وفي خذلانهم فيوليهم شجاعةً وإقداماً . أمّا تاريخهُ فيرجع الى سنة ١٧٦٦ اذ كان يُنشَدُ باللاتينية في عهد جيمس الثاني

الا أنه يوجد في انكلترا نفسها من يعارضُ في جعلهِ نشيداً رسمياً . والمعارضون قسمان : الأول يقول إنه لا يجوزُ دينياً ان نطلب من اللهِ سحقَ أعدائنا . فهم ينشدون بدلَهُ « باركْ يا رب وطننا » God bless our native وفيهِ يرجونَ اللهَ حفظَ بلادِهم وحمايتها وانتشارَ السلامِ في العالم حتى يُصبحَ عدوُّهم صديقاً

والقسمُ الثاني يَضعُ الشعبَ في المقامِ الأوّل ، ويرى أن يُهتَفَ بأسمهِ لا باسمِ الملوك . فوضعَ لنفسه « متى تنجّي الشعبَ يا ربّنا » When wil't thou save the people ومطلعهُ (متى تنجّي الشعب يا ربّنا . ياإله الرحمة لا الملوك فقط بل الشعوبَ ، لا التيجانَ ، ولكن بني الإنسان

ولا يزالُ في انكلترا من يظنُّ أنَّ « هذا في صحة الملك » Here's a health unto His Majesty هو أحقُّ بجعلهِ نشيداً وطنياً من « ربّنا احفظِ الملكَ » إلاّ أنهُ لا يتفقُ مع الذوقِ تحيّةُ ملكٍ من بيتِ هانوفر بنشيدٍ وُضعَ للتأثيرِ على نفوسِ الشعبِ لاستردادِ سلالةِ ستوارت

مثـل « بني دندي » Bonniee Dunde و « الملك على سطح الماء »
The King over the water

وفي اللغةِ الانكليزية عددٌ غيرُ قليلٍ من الأناشيدِ الوطنيةِ للشعراء: « بيرنز وتمسون ومور وكمبل » تُحمّس الجبانَ، وتحيي ميتَ الإحساسِ مثل « احكمي يا بريطانيا » Rule Britania

وكثيراً ما نرى انَّ النشيدَ الذي تنتخبهُ الحكومة لا يتَّفقُ مع ذوق الجمهورِ فيتركهُ كما في الولايات المتحدة. كذلك في المانيا؛ فانك في اغلب الاحايين لا تسمعُ الشعبَ يترنمُ بالنشيد الرسمي. بل تجدهُ يُنشدُ اليوم بحماسٍ « المراقبة على الرين » Wacht am Rhein لا يقلُّ عن حماس آبائهم يومَ كانوا ينشدونه قبلَ أخذِ الالزاس واللورين

غيرَ انَّ لنشيدِ « مارتين لوثر » اوكما سمّاه الشاعرُ هنريك هين « مرسييز الاصلاح » رنةٌ لطيفة، وذكرٌ جميل، وتاريخٌ سارٌّ. فهو لايزالُ يُسمَعَ اليوم بالمانيا كما سُمِعَ في معركة « لوتزن » وفي حرب فرنسا. بل كلّما جدَّ حادثٌ جلل

ولقد عناهُ « الفيكونت دي فوج » احد كبار كتّابِ فرنسا في انتقادهِ روايةِ « السقوط » Débacle لاميل زولا حيث قال (إنَّ من سمع الاصوات التي ملأت وادى « الميوز » ليلةَ اوّل سبتمبر سنة ١٨٧٠ يعرف كيف غُلِبَتْ فرنسا على أمرِها)

ولا يجهلُ احدُنا ما كان من التأثير الشديد لنشيدِ الدستور العثماني عام ١٩٠٨ فالعهدُ ليسَ ببعيد. فقد أشعل نارَ الوطنية في قلوب العثمانيين،

وعلَّمهم أن الحرية حقٌّ ، والعدلَ واجبٌ ، والمساواة طبيعية . فاصبحوا لا يرضونَ بالذُّل ، ولا يرضخون للاستبداد . وما زال كالكهرباء يغلي الدّم في عروقهم ، ويثيرُ الشعورَ في قلوبهم ، حتى كان منهُ أن خلَع عبد الحميد

امَّا نشيدُ الجمهورية الصينية فاشهرُ من أن نشيرَ اليهِ . وهو اكبر برهانٍ على أنّ الاناشيدَ الوطنية هي التي ترفعُ الامم من وهدة الانحطاط . وهل كان يجول بفكرِ أحدِنا أنّ الصين تصيرُ يوماً ما جمهورية ؟ ؟

نظرة الى مصر بعد كل ما مرَّ بنا

لا يوجدُ في هذا القطرِ ما يُطلقُ عليه نشيدٌ وطني سوى سلام الخديو « هذا الخديو له الفخار » وهو ليس مما يدفع القومَ لبذل النفس والنفيس فى سبيل بلادهم . وما عداهُ فاناشيدُ يترنم بها اطفال المدارس في الاحتفالات . وجلُّها بل كلها من نظم شاعرِ الامير « احمد شوقي بك » وهي مماَّ يشكرُ عليها . الاَّ أنها ليسَ لها الوقع الذي لغيرها من الاناشيد الوطنية . والسبب على ما اظنُّ كون شوقي بك شاعراً غير ملحّنٍ

وقد اقترحَ بعضهم في (الجريدة) منذُ ثلاثة اعوام وضع جائزة لمن ينظم احسن نشيدٍ وطني . ولا ارى لذلك فائدة . اذ أَن النشيد الذي يجب ان يكون نشيد مصرِ الوطنيّ لا يكون الباعث عليهِ حبُّ المال . واليوم الذي تجتمع فيهِ الوطنية الحقة والشعر والموسيقى في قلب احد أبناء النيل هو اليوم الذي نسمع فيهِ نشيدنا المنتظر ؟

(اتبره — السودان)　　　عز الدين صالح



في رياض الشعر

﴿ البستاني الشاعر والبستاني الوزير ﴾

بين الاستاذ عبد الله افندي البستاني العالم اللغوي الشهير وسليمان افندي البستاني ناظر التجارة والزراعة صلة وداد متينة عدا ما بينهما من صلات القرابة والأدب . فلما ألقيت الى البستاني الوزير مقاليد الوزارة ، كتب اليه البستاني الشاعر بالقصيدة العصماء التي نحن ناشروها هنا . ثم دارت بينهما ، على أثر ذلك ، مراسلة نتوقع الفوز بها لننشرها في الزهور

أما الأستاذ عبد الله فأشهر من أن نعرفه الى القراء وهو أستاذ معظم ادباء سوريا ، وزعيم العلماء اللغويين فيها ، وكبير الشعراء المجيدين في ربوعها . ولقد تلطف حضرته فوعد « الزهور » بأن ينشر فيها سلسلة مقالات لغوية انتقادية تكون تكملة لتلك المباحث اللغوية الشائقة التي كان ينشرها المرحوم اليازجي في الضياء . ولعلنا أن نبدأ بها منذ الجزء القادم

كتب اليه أوّلاً بالتاريخ الآتي :

لي مع سليمانَ قلب لا يُزايلهُ ... خوفَ الرقيبِ ففيهِ كلُّ أسراري
إن نابني بعدَهُ شوقٌ يؤرّخهُ ... فإنّني مستعيرٌ قلب خطّارِ (١)
١٩١٣

ثمَّ كتبَ اليهِ :

تَرَحّلْ الى مولاكَ يا قلبُ عَجلانا ... وأبقِ لصدري بعدَ بُعدِكَ نيرانا
كأنّكَ في دارِ الشقاء معذّبٌ ... تحنُّ الى « دار السعادةِ » ولهانا
فما أنتَ ذا يا قلبُ تهجرُ أضلُعاً ... عليكَ انحنتْ لا تبتغي منك هُجرانا
وأنت الذي أدمنتَ إيقاظَ أعيُني ... وأسامتَ نجمَ الليل تخفقُ يقظانا
فكم سكِرتَ بالدمع إذ كنتَ خافقاً ... ولكن بصهباءِ الهوى كنت سكرانا
ولولاكَ ما اسودَّت لياليَّ إنما ... سيُسفِرْنَ بيضاً ، أن قفوتُكَ ، غُرَّانا

(١) يريد به المرحوم خطار البستاني والد سليمان افندي .

أتشكو عذاباً في الضلوعِ وأنتَ قد | جعلتَ بحرّ النار صدريَ حرّانا
جرى الدمعُ غازياً عليها فزادَها | سعيراً ولمّا هجتَ خلتُكَ بركانا
وساءكَ أن تنتابَها سِنةُ الكرى | وسرّكَ أن أرعى السوافرَ سهرانا
عهدتكَ ذا رفقٍ بها صائناً لها | فلا تكُ في عهدٍ لمولاكَ صوّانا
ألم يكُ إنساناً لها ابتهجت بهِ | ولم تكُ تهوى غيرَهُ قطُّ إنسانا
أتتركها قرحَى ومولاكَ ناظرٌ | يعزُّ عليهِ أن تُقرّحَ أجفانا
كم التمستْ منك الهجوعَ لأن ترى | دموعاً بنحرِ الطيفِ تُعقدُ مرجانا
فممّنْ تعلّمتَ الجفاءَ ولم تكُنْ | ترى غيرَ مولاكَ الأنيسَ الى الآنا
تُنفّذ أمرَ الدهرِ فيَّ وما عنا | أبيٌّ لذمي حيفٍ لهُ انقاد مذعانا
أما أنت تدري أنَّ مولاكَ موئلي | اذا بانَ للعينينِ أو عنهما بانا
وقامَ بنصري منذُ عهدِ صبائهِ | وما خانَ عهدي قط بل غيرُهُ خانا
ولستُ أرى غيرَ ابن عمّي اخي ولا | أرى أبداً أبناءَ آدمَ إخوانا
فما اكثرَ الإخوانَ في مذهبِ الهوى | وليسوا اذا نالوا هوى النفسِ خُلّانا
ومَن عجمَ الأخلاقَ لم يكُ سائلي | على منحِ قلبي لابن عمّيَ برهانا
ولم يُلهِهِ عنّي نعيمٌ عنّا لهُ | وصَعْبُ شقاءي ان فكرتُ بهِ هانا
وهانَ عليهِ أن أحلَّ بأرضهِ | كما حلَّ اسرائيلُ في أرض كنعانا
فموسى من المنّانِ قد نالَ منّه | ولقياهُ منْ ما بهِ كان منّانا
فيا قلبُ سرْ واسكنْ اليهِ فأنتَ ما | فُطرتَ لترضى غيره فيك سكّانا
بحرمةِ أشواقي اليه توقَّ أن | يرى فيك ناراً لوَّعتنيَ أزمانا
فدَعها بصدري خوفَ لذعِ أناملٍ | على الطرس قد خطّت بياناً وتبيانا
وإلاّ فكن كالبدرِ بالشمسِ مزهراً | وما فيهِ نارٌ بل بأنوارها ازدانا
أحبُّ اليهِ أن يراها كما رأى | بحوريبَ موسى النارَ مرتفعاً شانا

وإياكَ ذِكرى لوعتي بفراقهِ مخافة أن تلقـاه يلتاعُ أحزانا
وناسمهُ عني بالسلام يظنهُ اذا اشتمَّ ريّاهُ تجسّم ريحانا
فيا قابُ لم يقنعُ برؤيةِ طيفهِ فقـد شاقك الجثمان تخفق لهفانا
فكن بارحاً مثواكَ مرتحلاً إلى فروقَ وطب واَشهد لمولاك جثمانا
وفي كلِّ نادٍ بالجلالِ مؤرَّخٍ تجدُّدْ ولا تخفق بنادي سليمانا

١٩١٣

عبد الله البستاني

﴿ المشيب ﴾

يا شَيبُ عَجِلتَ على لِمّتي ظُلماً فيا ابنَ النُّورِ ما أظلَمَكْ
بدّلتَ بالكافورِ مسكي وَما أضواهُ في عيني وما أعتَمَكْ
مَنْ يقبلُ الفاضحَ في ساترٍ فهاتِ ليلايَ وخُذْ مريمَكْ
غرَّكَ أنَّ الشَّيبَ عند الورى يُكرَمُ ، هل في الغيد من اكرَمَكْ
نفَرْتَ عني غانياتِ الطلى ويحك قد أسقيتَنى عَلقَمَكْ
دعونني الشيخَ وكنتُ الفتى أخّرَني الدَّهرُ الذي قدَّمَكْ
ونالَ من حولي ومن قوّتي جورُ زمانٍ فيَّ قد حكَّمَكْ
سرعانَ ما أذبلتَ من صبوتي بنارِكَ البيضا فما أضرَمَكْ
وشدَّ ما لاقتْ عيوني فلو ينطقُ لي جفنٌ إذَنْ كلَّمَكْ
ورُبَّ لمياء منيعِ اللّمى تقولُ ما أسقيهِ الاّ فمَكْ
تخاطِبُ البدرَ على تمّهِ جلَّ الذي من غرَّني جسَّمَكْ
كنتُ مع العفّةِ أحيا بها وهل بلا ماء يَعيشُ السَّمَكْ
فرَّتْ كمثلِ الخشفِ مذعورةً لما رأت في مفرقي مخذَمَكْ

وصارتِ النظرةُ لي حسرةً ... تقولُ للطرفِ أفضْ عندَمكْ
وما كفى يا شيبُ حتى لقدْ ... فضحتَ أسرارَ مَنِ آستكتمكْ
أيُّ خضابٍ لم يكن ناصلاً ... عنكَ ولو بالليلِ قد عمَّمكْ
فليتَ أيامَ شبابي التي ... أرقتُها غدراً أراقتْ دَمكْ
وأنتَ يا ظَبيَ النقا ما الذي ... أغراكَ بالهجرِ ومَنْ علَّمكْ
ما لبياضِ الرأسِ حكمٌ هنا ... لكن سوادُ الحظِ قد ألزَمكْ
لو لم يُغِرْ هذا على لونِ ذا ... لم تجنِ ذا الشيخَ وما آستخصَمكْ
ما خلتُ أن ترضى بنقضِ الوفا ... واللهُ بالحسنِ لقد تمَّمكْ
يا ربِّ ما طالَ زمانُ الصبى ... كأنهُ طيفٌ سرى وانهمَكْ
وهكذا الأيامُ تطوى بنا ... سُبحانَك اللهمَّ ما أعظمَكْ
رضيتُ يا ربي بما ترتضي ... فلا تخيِّبْ مُذنباً يمَّمكْ
وأنتَ يا شيبيَ خُذْ بي الى التقـوى عسى الرحمنُ أن يرحَمكْ

عبد الحميد الرافعي

هل أنت في مصر ؟

اذا كنتَ في مصرٍ ولم تكُ ساكناً ... على نيلِها الجاري فما أنتَ في مصرِ
وان كنتَ في مصرٍ بشاطىءِ نيلِها ... وما لكَ من شيءٍ فما أنتَ في مصرِ
وان كنتَ ذا شيءٍ ولم تكُ صاحباً ... لإلفٍ له لطفٌ فما أنتَ في مصرِ
وان كنتَ ذا إلفٍ ولم تكُ مالكاً ... لكيسٍ حوى ألفاً فما أنتَ في مصرِ
وان حزتَ ما قُلنا ولم تكُ هائماً ... بميلٍ لمن تهوى فما أنتَ في مصرِ

﴿ في قينة تُنشد ﴾

يا مَن بكى الرَّبعَ أفنى فى معاهدِهِ　　شبابَهُ وبكى الأيَّام والسَّكنا
تعالَ أُسمِعكَ شَدْواً يستعيدُ بهِ　　فؤادُكَ الرَّبعَ والأحبابَ والزمنا

خليل مطران

﴿ أنتِ والدَّهرُ ﴾

أسيدتي . لا الدَّهرُ يُسعِفُ مطلبي　　ولا أنتِ . انّي حِرتُ بينكما جدًّا
اذا رُمتُ شيئاً جشّماني بِضِدِّهِ　　لقد صِرتِ لي ضِدًّا وقد صار لي ضدًّا
سألتُكِ ودًّا فاستطبتِ لي الجفا　　وأمّلتُ قرباً فارتضى الدَّهرُ لي البعدا
تشابهتما جَوراً وغدراً وقوَّةً　　فصيّرتهِ ندًّا ولم تقبلي ندًّا
فلا تحرماني لذَّةً من تألُّمٍ　　ولا تسلباني الوجدَ لن أسلوَ الوجدا
خذا جسدي والروحَ فاقتسماهما　　ولكن دعا لي وحدَه ذلك الكبدا
حفظتُ بهِ عهداً واخشى ضياعَهُ　　واني لأبقي الكبد كي أُبقيَ العهدا

ولى الدين يكن

﴿ يا آسيَ الحيّ ﴾

يا آسيَ الحيّ هلْ فتّشتَ في كَبِدِي　　وهلْ تبيّنتَ داءً في زواياها
اوَّاهُ من حُرُقٍ اودتْ بمعظمِها　　ولم تَزَلْ تتمشّى في بقاياها
يا شوقُ رِفقاً بأضلاعٍ عصفتَ بها　　فالقلبُ يخفُقُ ذُعراً في حناياها

اسماعيل صبرى

اللينوتيب العربية

اللينوتيب آلة جديدة لجمع حروف الطباعة سطوراً كاملة لم يتوفق اللغويون حتى الساعة لتعريب اسمها. وصفوة ما توصف بهِ انها آلة مؤلفة من جملة قطع تدار بقوة الكهرباء. ويستخدمها عامل واحد، يجلس تلقاءها على كرسيّهِ . ويضغط على ازرار مبسوطة امامهُ، كتب على كل زرٍّ حرف من حروف الهجآء على مثال الآلة الكاتبة. ومتى ضغط على الزر سقطت امامهُ قطعة نحاسية محفور عليها الحرف المطلوب في مصفٍّ خاص وهكذا حتى يتم جمع سطر كامل، فيقرأه ويصحح ما يكون قد وقع فيهِ من الخطأ برفع الاحرف المغلوطة، ويضبطهُ بوضع الاسداس وغيرها من اصول صناعة التنضيد. ثم يدير لولباً آخر فينزل على السطر المحفور المصفوف صفاً افقياً جزء من الرصاص المصهور لا يلبث ان يجمد ويتحول الى سطر من احرف مجموعة جمعاً لا شائبة فيهِ الا الخطأ الذي قل ان يسلم منهُ منضدٌ

ويتم الجمع والسبك بهذه الطريقة في مدة لا تتجاوز ثلث المدة اللازمة للجمع باليد. وان كان في الجمع باللينوتيب عيب واحد هو عيب التصحيح فانه اذا وقع خطأ في حرف واحد في السطر وجب تغيير السطر باكمله

وقد انتشرت اللينوتيب في مشارق الارض ومغاربها من باكين الى طنجة. وتنضد بها الحروف فى جرائد فرنسا اليومية عدا ستاً، منها الجريدة الرسمية

وكان الكثيرون من اهل الصناعة يظنون انه يصعب ايجاد لينوتيب عربية . ولكن بعض المتفننين من عمال المطابع ذلل هـذه الصعوبة . وسبق الكاتب الفاضل نعوم افندي المكرزل ، صاحب جريدة الهدى العربية التي تصدر في نيويرك ، غيره من اصحاب الصحف العربيـة في استخدام اللينوتيب لصف حروف جريدته . واقام يوم بدأ بالعمل بها — وكان ذلك منذ سنتين ونصف على ما اذكر — احتفالاً شائقاً حضرهُ جمهور كبير من رجال الاقلام والمشتغلين بالصحف من سوريين وامريكيين

وتأتينا جريدتهُ يومياً في ثماني صحف كبيرة مصورة لا تنقص ترتيباً ودقة في صناعتها عن صحف اميركا اليومية . ولا شك في ان الفضل في بلوغ هذه الصحيفة مبلغها من الترقي عائد الى البيئة التي تصدر فيها والى ما هو معروف عن صاحبها من المقدرة في صناعته

***

وكان ينتظر ان يعم استعمال اللينوتيب مطـابع الصحف اليومية في الاستانة لاسباب عدة منها وفرة عدد ما يطبع من كل واحدة من هذه الصحف ، ومهارة صفافي الحروف الاتراك وجمال خط كتابهم ، وتعويلهم على الطريقة الافرنجيـة من وجهة قسمتهم الكلمة التي تقع في آخر السطر قسمين اذا دعت الحالة الى ذلك فلا يحتاجون الى مراجعة السطور وزيادة عدد الاسداس بين الكلمات كما يعمل صفافو الاحرف العربية لايقاع نهاية الكلمة في آخر السطر . وقد سألتُ احد ادباء الاتراك عن سبب امتناع الصحف التركية الـكبرى عن استخدام اللينوتيب فما احار جواباً

وكذلك لم تستخدم اللينوتيب في مطابع القاهرة وبيروت ، وهما مركزا النهضة الادبية العربية ، ويوجد في كل منهما دور للطباعة لا تنقص اهمية عن دور الطباعة الكبرى في لندن وبرلين وباريس . بل سبقنا اخواننا المراكشيون فى طبع مطبوعاتهم الرسمية والشبيهة لها باللينوتيب . فقد نشرت مجلة Linotype Notes في عددها الصادر في شهر نوفمبر الماضي رسالة وردت اليها من مكاتبها فى طنجة يؤخذ منها انهُ انشئت فى رباط الفتح وفى الدار البيضاء مطبعتان كبيرتان جهزّتا بعدد من اللينوتيبات — على حد قولك اسطرلابات — من بينها لينوتيب عربيــة وضعت فى مطبعة رباط وتصف بها الآن احرف الجريدة الرسمية لحكومة المغرب الاقصى وجريدة « السعادة » الشبيهة بالرسمية. وزينت المجلة رسالة مكاتبها بصورة اللينوتيب العربية والصحيفة الاولى من الجريدة الرسمية المغربية

وجريدة السعادة المشار اليها جريدة نصف اسبوعيــة يحررها الأديب اللبناني وديع افندي كرم . وقد عرفتهُ قبل ذهابه الى المغرب الاقصى إذ كان يشتغل في الجرائد اليومية بالقاهرة . وقد مرَّ بنا منذ خمس سنوات قاصداً لبنان فجرى بيني وبينه حديث عن جريدته واقبال المغاربة على مطالعتها فقال لي : إن القوم هناك يعتقدون أن الصحف بدعة يحرّمها الدين . ولم نتمكن من إقناعهم بخطإهم إلاَّ بأن أتينا بشيخين من علمائهم وأجلسناهما في مكتب التحرير كما توضع التماثيل في مخازن تجار الملابس، وأبحنا زيارتنا لكل قاصد من الأدباء وأهل الفضل . وكلما وفد علينا واحد منهم نشير الى شيخ من الشيخين فيبدأ في شرح الصحافة وفوائدها وعدم

مخالفتها للدين . ولكن هذه العمليـة لم تكن لتقنع الكثيرين بأن الدين لا يحرّم مطالعة صحف الأخبار !!

فذكّرتني هذه المحادثة بما جرى بيني وبين الشيخ الكتاني ، وهو أحد أئمة الدين في المغرب الأقصى . وكان قد حضر الى القاهرة في أواخر سنة ١٩٠٣ وأقام بيننا أسبوعين ترددت عليهِ خلالهما غير مرّة . وتحادثنا في عدة شؤون خاصة وعامة . فأتى يوماً ذكر الوراقة والطباعة فقال الأستاذ (رضي الله عنهُ) : أنا لا أحب السير في أسواق الورّاقين . قلت ولِمَ يا مولاي ؟ قال : لأنهم يبيعون فيها الورق الأبيض وربما أُخذ شيء منه وكتب عليهِ ما يخالف القرآن

ولا شبهة في أنهُ عند انتشار اللينوتيب في المغرب الأقصى تبدد بقوّة مطبوعاتها أوهام الشيخ الكتاني وأمثاله وتجدد فرنسا بقوّة الكهرباء ما درستهُ أيدي الظلم من علوم المغرب وآداب أهله الزاهرة

*
* *

ومن المصادفات الغريبـة أنهُ في الشهر الذي طبعت فيهِ الجريدة الرسمية « للدولة المغربية الشريفة المحمية » باللينوتيب وزّع بعضُهم رسالة مصوّرة على أصحاب المطابع والمشتغلين بالصحف في القاهرة والاسكندرية قال فيها إنه أنشأ في العاصمة مستودعاً كبيرًا للينوتيب العربية

وقد طبعت هذه الرسالة طبعاً متقناً على اللينوتيب . وضمنها ناشرها بحثاً فنياً في فضل صف الأحرف باللينوتيب على تنضيدها باليد . ثم أخذ تدحض براهين القائلين بصعوبة تصحيح أحرف اللينوتيب . ومما جاء في

هذه الرسالة أن استعمال اللينوتيب ينشأ عنها أمور ثلاثة وهي : زيادة كمية العمل ، وتقليل النفقات، وفتح ابواب جديدة للرزق . ولا يقتصر النفع على اتمام الجمع بسرعة بحروف نظيفة جديدة على الدوام بل ان ترتيب الصحائف يوفر وقتاً كبيراً بدون خوف من وقوع الخطأ

وليس هذا فقط بل إنَّ بعضهم انشأ فى القاهرة مدرسة خاصة يديرها مهندس ميكانيكي اختصاصي باللينوتيب . ولكل من يشتري واحدة او اكثر من عدد اللينوتيب ان يدخل من اراد فى تلك المدرسة ليتعلم ادارة اللينوتيب بالمجان

ولكن هذه البيانات والتسهيلات لم تقنع اصحاب المطابع العربية وتدعوهم الى صفّ ابطال الحروف باليد والاستعاضة عنها باللينوتيب . ولهم فى ذلك حجج بعضها مالي وبعضها صناعي . وليس هنا مجال تأييد احد الرأيين او تفنيده . وكل ما ارجوه ان يتوفق كتابنا الى تحسين خطّهم ويمتنعوا عن التغيير والتبديل فى المسودّات. وحينذاك لا يكون هناك حائل يحول دون استخدام اللينوتيب بشرط ان يزداد عدد ما يطبع سواء من الكتب والمجلات والجرائد فيقوم بنفقات هذه الآلة المدهشة واجور العاملين فيها وما يلزمها من كهرباء ورصاص ثمَّ ان لا ينسى من يؤرّخ الصحافة العربية والطباعة ان الفضل فى تعميم اللينوتيب عائد كغيره من محسنات الطبع الى الغرب ومخترعيه ؟

القاهرة نوفيق حبيب



افضل الوسائل

لانهاض السلطنة (١)

خطرَ لنا عند الفراغ من تأليفِ هذا الكتاب ، أن نستطلع آراء نخبـة من أكابرِ العلماء وفحول الكتّاب ، عن أفضل وسيلة تنهضُ بالسلطنة بعد كبوتها ،وتزيدُ في يقظةِ الأمّة بعد غفوتها ؛ فسألنا من أسعدنا الحظ بالوصول اليه ، قُبَيل صدورِ هذا المؤلف، أن يصوغ لنا فكرتهُ الأساسية في أسطر قليلة فتكرَّموا بتلبيـة الطلب ، أدامهم الله زهراً نضيراً في بستانِ العلم والأدب . واليك آراءهم مرتبة حسب تواريخ ورودها :

قال سعادة فتحي باشا زغلول :

أقرئك السلام وبعد فسؤلك هامٌ ومطلبك أهمّ

الدولةُ العليّةُ ، رعاك الله ، مجموعٌ يحتاجُ في سياستهِ وانهاضهِ الى حكمةٍ عاليـةٍ وبصرٍ بالأمور كبير . فاذا غلبَ الرأيُ الهوى ، وبطلَ التفاضلُ بين العناصرِ ، وأقيم وزن العدل،وتساوى الناس جميعاً في الحقوق وفي الواجبات ؛ واذا خلصت نيأت اهل الزعامة ، وصدقت عزائم ذوي الرئاسة ، ففضّلوا مصالحَ الامة على المنافع الفردية ، وجدّ الكلُّ في طلب الاصلاح فنشروا التعليمَ ، وعنوا بالأمور الاقتصادية فاستبقوا لانفسهم مرافقَ البلاد وكنوزها ، وذلّلوا السبُلَ وأمّنوا السابلة ، وقرّبوا المسافات ثم ازدرعوا واحترفوا واتجروا فأحرفوا ؛ واذا احكموا نظامَ الجندِ وهذّبوه لا

(١) كتاب تاريخ الحربين البلقانيتين للكاتب السياسي المجيد يوسف افندي البستاني

شك أنَّ الدولةَ ناهضةٌ من سقطتها، وأنّ الامّةَ ناشطةٌ من عقالها، وأنها نائلةٌ من الحضارة والمناعة مكانا عليّا ؟

وقال الدكتور فارس افندى نمر :

حضرة الفاضل؛ ان كان المقصودُ من « السلطنة » في سؤالِكم « الحكومة والأمّةُ » في حالتهما الحاضرة أي الدستورية فوسائط إنهاضها متعدّدةٌ : منها ماديٌّ ومنها أدبي . ولكلّ واسطةٍ منها قوّة لا يُستغنى عنها وخصوصاً وسائط العلم والمال . على أنَّ في الحكومة وفي الأمةِ رجالاً من ذوي العلم وذوي المال فلا يعوزهم إدراكٌ ولا يسار؛ ولكن الذي ينقصُنا هو تربيةُ الحكومة على الاخلاقِ القويمة والصفاتِ المنظّمة والمرقّيةِ لشؤونِ الهيئة الاجتماعية حتى نستطيعَ الاتّحادَ والتعاونَ على تدبير أمورنا وانجاحِ أعمالِنا ، ونحنُ جماعات ، كما يستطيع كثيرون منا اليوم تدبيرَ أمورهم وانجاح أعمالهم ، وهم أفراد ؟

وقال الدكتور شبلي شميل :

الدولة لا تنهض إلاّ بثلاثة : رجالٌ ومالٌ ووقتٌ ؛ والرجالُ بالعلم والتربية ، والمال بالموارِد . فهل ذلك متوفر، ولا سيما الوقتَ وحالنا في الاجتماعِ كما هي من قلّةِ التكافؤ مع ما هو عليهِ اليوم من شدّةِ التنازع ؟ والجواب على ذلك يدل على المصير ؟

وقال السيد رشيد رضا :

الدولة كائن حي يحفظ وجودُها بالسنّة التي تُحفظ بها حياة سائر الأحياء : وهي سلامةُ مزاجها في نفسها ووقايتهُ مما يعدو عليه من الخارج

فأمّا سلامةُ مزاجِ دولتنا العثمانية في نفسه فإنما يكون باقامةِ الشرعِ العادلِ في القضيه ، والمساواةِ في الحقوق بين الرعية ، وبناء إدارة المملكة على أساسِ اللامركزية ، وجعلِ السلطة العليا شقّ الابامة بين العنصرين الكبيرين فيها — العربِ والتركِ — بحيثُ يكونانِ منها كالعنصرين اللّذينِ يتكوّن منهما الماء والهواء . وأما وقايتُها مما يعدو عليها من الخارج فهو الآنَ منوطٌ بدولِ أوربةَ الكبرى فهنّ أصحابُ المطامع فيها ومطامعهنّ متعارضة . وما دامت كذلك كانت الدولة آمنةً على نفسِها من اقتسامهنّ اياها بالقوّة ؛ فيجب أن نتقي استيلاءهنّ على البلادِ بقوّة المال والسياسةِ أي بالفتح السلمي ، وأن نقوّي مزاج الأمّةِ بالمالِ والعلم واعدادِها للدفاع عن نفسها . فاذا هي فرّطت في مرافقِها وأملاكِها فباعتها للأوربيّينَ وبقيت على تبذيرها وتوهّمها انها تستطيعُ أن تحميَ نفسَها منهنّ بقوّتي الدولة : البريةِ والبحريةِ الرسميتين ، ولم تجعل كلّ اعتمادِها على الأمة ، فالخطرُ عليها من الفتح السلمي أقربُ وأقوى من خطرِ الفتح الحربي ؟

وقال داود افندي بركات :

رأيي في اصلاحِ السلطنة العثمانية ان تُقسم مناطقَ ، وأن تكونَ كل منطقة مؤلفةً من العناصرِ المتفقة في التقاليد والعادات واللغةِ ،

فتُعطى الاستقلالَ الاداريَّ تبتُّ من أمورهِ كلّ ما لا يتناول منطقةً أخرى أو أكثرَ من منطقة . ويُعيّنَ لكل منقطة مندوبٌ سام يعاونهُ مجلس ادارة يؤلف من الفنّيين في الامور الماليّة والاداريةِ والقضائيةِ والعسكرية ، ويؤخذ للمركز العام جزءٌ معينٌ من دخل كل منطقةٍ ، وتُلغى الضرائب العشرية، وتقرَّر ضرائبُ ثابتةمعينة على الاملاك ، وتوضع قوانين للشركات على أختلاف أنواعها ، ويوحّدَ القضاء فلا يكون من اختصاص رجالِ الدين الاّ الامورُ الشخصيةّ . فتكون الدولة مؤلفةمن ولايات متحدة او مناطق متحدة

ذلك رأيي في انهاض السلطنة بسرعة ؟

وقال جرجي بك زيدان :

العلّة الحقيقيةُ في حالة الدولة العثمانية اليوم فَقرُ المملكة واضطرابُ الحكومة . والحكومة الدستورية في أيدي الامة والأمة العثمانية ضعيفة الاخلاق ، عريقةٌ في الانقسام بسبب ما توالى عليها من أعصرِ الفساد

أما المملكة ونعني الولاياتِ الباقيةَ منها في آسيا فليس فقرُها أصلياً فيها ؛ وكل ولاية منها كانت في بعض الازمان مملكة قائمة بنفسها : فالعراقُ كانت وحدَها مملكة البابليّين والاشوريين وبها اعتزّ العباسيّون في ابّان دولتهم وكانت جبايتها ثلثَ جباية مملكتهم الواسعة الممتدّة من حدود الهند الى شواطىء الاتلانتيكي . وسوريا كانت مؤلفةً من عدّة دُوَل ثم

اعتزّ بها السلوقيّون اجيالاً ؛ وكذلك آسيا الصغرى وظلّت مدة هي أعظم أركان الدولة العثمانية

فهذه الولايات اذا أُحسنت سياستُها وادارتها صارت غنية . وهذا لا يتمّ والأمة كما تقدّم . فالوسيلة المثلى للنهوضِ بالدولةِ العثمانيةِ إنما هي ترقية الشعبِ وهو لا يقدرُ ان يرقّي نفسهُ رغم استعدادهِ الطبيعي للرقي . وقد يقوم بذلك حاكم عادل عاقل ؛ أنما يشترط إن يكون مستبدّاً وهذا لا يتيسّر والحكومة دستورية . فلا بدّ من الاستعانة بالاجانب . وأسلمُ الطرُق أن تحالف الدولة العثمانية مع دولة تثِقُ بصداقتها فتستعين برجالها على اصلاح حكومتها وترقية شعبها وصيانتها من مطامع الدول الاخرى بشرط أن لا يكون لهذه الدولة مطمع في الاستعمار . فاذا وُفّقت الى ذلك في أثناء أربعين سنة نهضت واسترجعت رونقها ؟

وقال سامي افندي قصيري

لما كانت الدّولةُ العثمانيةُ فيما مضى دولةً استبداديةً قائمةً على حكومة الفرد كانت تقوى بقوّة ذلك الفرد ، وتضعف بضعفهِ ، وتسعدُ بسعدهِ ، وتشقى بشقائهِ. أما الآن وقد أُعلن فيها الحكمُ الدستوري مراعاةً لاحوال الزمان والمكان، وتبدّلت حكومة الفرد بحكومة الأمة ، فصلاحُ الحكومةِ قائمٌ بصلاح الأمّة . ولا يكون ذلك في رأيي الاّ بنشرِ التعليم الحرّ بين طبقاتها ، والفصل بين دنياها ودينها ، والتأليفِ بين عناصرِها وطوائفها حتى تُصبحَ جميعها كتلة واحدةً يحرِكُها من أعلاها الى أسفلِها عاملٌ

واحدٌ هو عاملُ الوطنيةِ ، وتجمعُها من اقصاها الى أدناها جامعةٌ واحدةٌ هي الجامعة العثمانية ؟

وقال اسكندر بك عمون

أصلَحُ نظامٍ للدولة ، على ما بينَ العناصرِ والولاياتِ العثمانيّـة من التباُينِ في الحاجاتِ والاخلاقِ والعاداتِ والتقاليدِ ، وعلى ما بينَ أهليها من التفاوُتِ في الحضارة ، أن تُجعَلَ ممالكَ أو ولاياتٍ مستقلّةً في جميعِ شؤونها الخاصةِ استقلالاً تاماً حتى في قوانينها وفي شكلِ حكومتها مع ارتباطِها جميعاً في الشؤونِ العموميّـةِ على نحو نظامِ الولايات المتّحدةِ الأميركانية ، أو الممالكِ الجرمانية ، فتُسمَّى حينئـذٍ الولاياتِ أو الممالكَ العثمانيّـةَ المتحدة

ولهذا النظام مزيّةٌ على كلِ نظامٍ آخر وهي : أنهُ النظامُ الوحيدُ الذي يمكنهُ أن يجمعَ بين الولاياتِ والإماراتِ العربيّـةِ في جزيرة العربِ وسائر الولايات الأخرى الممتازة وغير الممتازة ؟

وقال امين افندي البستاني

سألتني رأيِيَ في الدولةِ ومصيرها : جازَ بالدولة في هذا العام عِبرةٌ كبرى اذا لم تعتبر بهـا نالها ما هو شرٌّ منها . وللدولةِ الآن بقيّـةُ مُلْكٍ هو أبعدُ مدًى ، وامنعُ حمًى ، وأطيبُ بقعةً من جلّ الممالك الأوربيةِ . فهل لها أن تعدِلَ الباقي من هذا المُلْكِ وتمنعَهُ حادثاتِ الدهر ؟ الله أعلم

على أنَّ الدولةَ لا تجهلُ أشراطَ المُلْكِ على الممالكِ وما هو مُبقٍ لهُ، وما هو ذاهبٌ بهِ حتى لقد أصبحت الدلالةُ على وجوهِ الإصلاحِ المنشودِ من مبتذلاتِ الكلامِ، وملوكاتِ الأفواه والأقلام. فهلْ للدولةِ أن تعملَ بما علَّمها الدهرُ على حينَ لم يبقَ لها من ناصرٍ إلاّ ما تسعى اليهِ من ترميم هذا المُلْكِ العزيز؛ وإلاّ فقد قضى الله بما لا دافع له ولا مانعَ منهُ، وحسبُكم الإشارة يا أبناء هذه الدولة. فاعدلوا بين ضروبِ الرعيَّةِ لأنَّ دولتَكم مستمدَّةٌ من جملتِها لا من أبعاضِها، وقدّموا الكفؤَ على غيرهِ مهما كانت نِحلتُهُ ومنبتُ أسلتهِ، واستعملوا الأجنبيَّ في تدبيرِ ما أنتم ضعافٌ عن تدبيرِهِ، واسلكوا القصدَ في عمالِكم من غير سرفٍ ولا تفريطٍ، وخذوا بالجديدِ الصالحِ، واخلعوا القديمَ المبتذلَ ثم أعدّوا للمُلْكِ عدَّتَهُ من رجالٍ ومالٍ؛ والله الواقي في هذا الباقي؟

وكتب اليَّ عالمٌ كبيرٌ لم يشأ أن يُنْشَر اسمهُ قال: « إن الأمر عويصٌ جدًّا لأن في السلطنة فواعل كثيرة متناقضةً وبعضها خفي. ولقد سمعتُ مرَّةً المرحوم نوبار باشا رئيسَ الوزارة المصرية الأسبق يقول: إن لورد دربي ألقى عليهِ سؤالاً مثل سؤالك وطلب منه أن يرتاءي رأياً، أو يضعَ مشروعاً نافعاً للسلطنة العثمانية؛ قال نوبار: فأخذتُ القلم وكتبتُ « أن يُنشأَ في السلطنة محكمةٌ مختلطةٌ مستقلَّةٌ تُرفعُ اليها الشكاوى من المأمورين فتحاكمهم وتنفذَ الحكومة ما تحكم بهِ عليهم »

فما أدقَّ هذا الانتقادَ، وما أرقَّ هذا التهكُّم ! . .

الممرضة

وضع حضرة الدكتور سروبيان طبيب مستشفى لادي كرومر وملجأ الأطفال كتباً في علم الصحة وقدمها الى نظارة المعارف العمومية لتعليمها في مدارسها ، وقد تناول فيها ما ينبغي على الطلبة معرفته في هذا الفن فكتبه بعبارة واضحة وزين الكتب بالصور والرسوم ، فجاء عمله متمماً وافياً بالغرض منه . وقد نقلنا من احد الفصول الكلمة التالية في وصف الممرضة . قال :

قد يُصابُ عزيزٌ لنا بمرض عُضال فيكون على المرأة وحدَها أن تمرّضهُ وتعتني بهِ . أوَ ليست الرشاقة والرقّة والحنان من الصفات التي تغلب في النساء ويقتضيها فنُّ التمريض ؟ غير أن هذه المزايا الجميلة لا تكفي وحدَها بل يجب أن تقترنَ بالخبرة والمعرفة ، وترافقها على الخصوص زلاقةٌ في العمل والحديث . ولئن كان العطفُ شرطاً في معاملة المرضى، فان اللطف من مستلزمات هذا الفنّ الدقيق

لطفٌ في العمل ، وعذوبة في اللسان ؛ كلاهما لا غِنًى عنهُ !

أيتها الممرّضة ، ما للمريض غِنًى عن عذوبتكِ . كلّميهِ بوداعةٍ كما تكلّمين الطفل الصغير . وليكن ملء صوتك دِعةٌ ورزانةٌ ، وعلى شفتيكِ شبهُ ابتسام

ما للمريض غنى عن لطفكِ ورفقكِ . لتمَسَّهُ يدُكِ مساً لا تقسُ عليهِ قساوة . لَمسٌ دون لَهوجةٍ ، ورشاقة دون تسرُّعٍ ، ولطفٌ دون برودةٍ !!

لا تغضبي ولا تنفري . قد تسمعين منهُ سوءا ، وقد تُلاقين فظاظةً ؛ فلا تُسئكِ إساءتهُ ، ولا تَرُعكِ فظاظتهُ ؛ وقد ينفرُ منكِ ، ويتطلّبُ بديلاً

عنكِ فلا تنفري منهُ ولا تقابليهِ بغير التسامح واللين

لا تثقل عليكِ شكواهُ وكثرةُ مشتهياتهِ ، فان الممرّضةَ المخلصةَ تجدُ دائماً وسائلَ لتعزية المريض وتلطيف همومه . نفسُها الفاضلة توحي لها ، وقلبُها الشفوق يملي عليها

هي مرآة مريضها . يرى في وجهها صورة ما يحسُّ بهِ في نفسهِ ، ويُبصر في عينيها سيماء ما في فؤاده . تشكو لشكواه وترضى لرضاه . فإن حدَّثها عن نفسهِ أصغتْ اليه واعيةً أمرَهُ مهتمَّةً لشؤونهِ ؛ الهدوء في حركاتها ، والرَّزانة في سكناتها. وأمَّا الإخلاص والحنان فملء عملها الشريف

هذه هي الممرضة الفاضلة وتلك هي صفاتها الجميلة ومزاياها الغرَّاء :

ومن جملة واجبات الممرّضة أن توصدَ باب مريضها دون عائديهِ ، ولا سيَّما متى كان داؤهُ عُضالاً ، وحالهُ خطرة . فيُستقبل العائدون في حجرة أُخرى . وحينئذٍ فان السكينةَ لا بدَّ منها لأن المريض لا يقوى على تحمُّلِ الجلبة

وإذا أَعضل الداء وأَشفى المريض فمن المحتَّم على أهلهِ وممرّضيهِ أن يتحاشوا قدَّامهُ كلَّ علامات القلق والخوف فلا يقرأ على وجوههم نبأ انقطاع الرَّجاء ، ويرى في عيونهم نذيرَ الشرّ ودُنوّ الأجل . لأن المريض ، في تلك الحال ، كثيرُ الشكوك ، كثيرُ المخاوف ؛ يحاول أن يسترقَ نظرة يفهم منها حقيقة أمرهِ ، أو يختلسُ إشارة يعلمُ بها ما يخفى عليهِ من حالهِ الصائرِ اليها

إِنَّ أفضلَ ما يؤَاسى به مريضٌ على شفا الموت اعتقادٌ مستمرٌّ في نفسه بزوال الداء وقرب الشفاء

وقال من جملة كلام عن العناية بالطفل :

أما في البيت فلا يُترَكُ الطفل طول يومهِ في مهدهِ ، بل يُحمل من حينٍ الى حينٍ على الذراع ويُتَمَشَّى به . ومتى بلغ الشهر السادس أو السابع من عمره يوضع كلَّ يوم ، مدَّة من الزمن ، على حصيرٍ أو سجَّادةٍ أو بساطٍ حيث يمكنهُ أنْ يلهوَ ويلعبَ . فتتقوَّى كُلاَه ، وتشتدُّ رجلاهُ ، وهو يحاول القعود وحده ، ثمَّ الانتقال من مكانه فيحبو ، ثمَّ يدبُّ مستنداً الى يديه وركبتيه . ثم يحاول بعد مدةٍ أن ينهض منتصباً فيستعين بالكراسى أو بما يلاقيهِ قدَّامهُ ، فيتعلَّم بذلك الوقوف على قدميهِ . ثمَّ يأخذ بأن يباعد بين ركبتيه ، ويخطو خطواتهِ الأولى ممسكاً بالمقاعدِ ؛ ومتى أَنِسَ من نفسهِ القوَّة الكافية يترك كلَّ مسند ويمشي وحده



بعد ان يدبَّ الطفل في أول أمره ، يأخذ بتمسك بالكراسى ليقف منتصباً ، ثم يحاول أن يخطو خطواته الاولى

والصغيرُ الذى يتعلم المشيَ على هذه الصورة ينشأُ ثابتَ القدمينِ مستقيم الفخذين

أما محاولة تمشية الطفل قبل الأوان فلا تفيد شيئاً بل قد تعودُ عليه بالضرر . فاذا أُرغمَ على الوقوف على رجليه مثلاً قبل أن تقويا على حملِ جسمه ، تقوَّست رِجلاه ونشأ مشوَّهاً لأن عظمهُ لم يكن قد تصلَّبَ بعد

الدكتور سرو بيان

العذول والخيال

ابيات تُغنَّى في (بَشرَف)

عاذلي فى هَوى الحبيبْ جاءني في دُجَى الظلامْ
قُلتُ فرَّقتَ يارقيبْ بين جفنيَّ والمَنامْ



حسبُك السعيُ في النّهارْ بينَ خِلٍّ وخلِّهِ
ساهدٌ فاقِدُ القرارْ أعفُ عنهُ وخلِّهِ



قال ياعاشقَ الجمالْ انما العاذِلُ الغيورْ
كيفَ تخلو مع الخيالْ في خفاء ولا أزورْ

خليل مطران



في اي شهر وُلدت؟

كنا قد نشرنا في بعض أجزاء «الزهور» على سبيل الفكاهة شيئاً مما توصل اليه المغرمون بدرس طوالع الناس من تأثير الشهور والايام في اخلاق المواليد . وقرأنا في جريدة « الشعب » اللبنانية خلاصة لتلك الملاحظات مترجمة عن كتاب « شيرو » فرأينا ان ننشرها في مطلع العام الجديد

ان الذين يولدون في شهر يناير (كانون الثاني) يُولدون أصحابَ أفكارٍ واسعة وعقولٍ راجحة وصبرٍ وثبات أمام المصائب وميلٍ للاشتغال بما هو مفيدٌ للبشر . ولهم افتتانٌ في الحبّ والواجب العمومي ، ولهذا كثيراً ما ينظرُ أصحابهم وخلاّنهم الى أعمالهم بعين الاستغراب

وأخلاق مواليد شهر فبراير (شباط) قريبةٌ من أخلاق مواليد شهر يناير المذكور . ولكن مولود فبراير يمتازُ عن مولود شهر يناير بنجاحهِ في أعمالهِ وبافادتهِ الغير اكثر مماً يُفيد نفسهُ وبطول قامتهِ ومزاجهِ الحادّ وسرعة تأثُّرهِ لأقلّ الأمور

ومواليد شهر مارس (أذار) يتطلعون الى الغد بتشوُّق ، لا لأجل شيء غير معرفتهم كيفية مركزهم ، وماذا يُضمر لهم المستقبل في الغد . وقد لاحظ « شيرو » أنّ أفكارهم هذه ناتجةٌ بالاكثر عن التشوُّق ليعرفوا أرؤساء سيكونون في المستقبل أم مرؤوسين . وأكثر أصحاب الفنون من موسيقيين وشعراء وعلماء وُلدوا في مارس، ولكن هؤلاء في الغالب يفتقرون للتشجيع قليلاً

وأما مواليد شهر (ابريل ونيسان) فهم متصلبو الرأي ، ذوو إرادةٍ قوّية عشاّق للحروب والمخاصمات ، ويمتازون على غيرهم بمقدرتهم على حسن إدارة الأعمال ، ولكنهم في الغالب يكونون محرومين من

السعادة في الزواج وبالنادر يتزوَّجون بمن يحبون

ومواليد شهر مايو (أيار) من خصائص طباعهم وأخلاقهم الإخلاص والمودَّة . فهم اذا أحبوا يُحبُّون حبَّ الكرام ، لا يستعظمون التضحيات الكبيرة في إرضاء من يُحبُّون . وإذا جاهروا بالعداوة يُقاتلون أعداءهم ببسالةٍ حتى الموت ، ولا يتكتَّمُون في المقاتلة ، لأنهم يُبغضُون الخداعَ والمداهنة والغشَّ . وقد لاحظ « شيرو » أنَّ مواود مايو لا يتزوَّج باكراً وإذا كان خلاف ذلك فإنما يكون نادراً وشاذّاً

وأمَّا مواليد شهر يونيو (حزيران) فمتقلّبون لا يستقرُّون على حالٍ تتناوب نشاطهم الحرارة والبرودة في وقتٍ واحد . ومن ميولهم الولَع بالتمثيل والمحاماة والخطابة . وأشهرُ الخطباء والمحامين والممثلين وُلدوا في يونيو . ولو كان مواليد هذا الشهر ممن يخصّصون أنفسهم بشيء لبرَّزوا في أي حلبة اطَّلبوها في هذه الحياة

ومواليد شهر يوليو (تموز) ميَّالون الى الأسفار ، ولهم ولعٌ بالمقامرة والربح السريع ، ولكنهم متقلّبون أيضاً كمواليد شهر يونيو وقلَّما يشرعون في عمل ويتمّمونهُ

ومواليد شهر أغسطس (آب) غالباً ما يكونون من عُشَّاق الثوب العسكري وقيادة الجيوش والاشتغال بالأمور العمومية ، ومن صفاتهم عزَّة النفس والحرّية الفكرية والاستقامة ورقَّة الشعور والسماح ، وكثيراً ما خُدِعَ مواليد أغسطس بأمورٍ مهمَّةٍ ، وانقلبَ سماحهم الى قسوةِ قلبٍ شديدة بغَضتهم الى الناس

وأما مواليد شهر سبتمبر (ايلول) فقد اشتهروا بالانتقاد العلمي وسرعة الخاطر وذرابة اللسان وقوّة الذاكرة وإدراك خطإِ الغير لأوّل لمحة ؛ ولكنهم قبل كل شيء يصرفون جلَّ اهتمامهم الى أُمورهم الخصوصية

وفي شهر اكتوبر (تشرين الأول) وُلد أشهرُ المقامرين وأكثر المبذّرين الذين لا يكترثون كثيراً للمال . وقد لاحظ « شيرو » ان اكثر مواليد هذا الشهر يميلون الى درس الحقوق ويشتهرون في المحاماة والقضاء والفقه ؛ وأما في زواجهم فنادراً ما يكونون سعداء لأنهم يعظّمون أقلّ الأمور ويهتمون لها اهتماماً شديداً

وأما مواليد شهر نوفمبر (تشرين الثاني) فقد اختصوا بأخلاق تقضي بالعجب . فان الفضيلة ونقاوة الفكر تلازمانهم قبل بلوغ العشرين من عمرهم . ولكنَّهم في الغالب يكونون ضعفاء الارادة سلِسُو المقادة يميلون كيف تميل بهم الشهوة دون ما اكتراث للنقاوة والأدب . واكثر مواليد هذا الشهر ممن اختصُّوا بقوّةٍ جاذبة يستميلون بها عشراءهم ، ولكن اكثرهم يكون من ذوي النفوس الصغيرة التي تتضاءل عند شدّ النوازل والأمور

وفي شهر دسمبر (كانون الأوَل) وُلد اكثر العمال النشيطين الذين أدركهم الموت قبل ان يُدركهم الكلل والفتور . ولكن « شيرو » لاحظ انَّهم ينتقلون من حرفةٍ الى أُخرى بسرعة . فبينما يكونون أساتذة ، فاذا بهم كهنة أو تجار أو صيارف . ولكنهم في الغالب لو أُطلقت يدهم في كل عمل يميلون اليهِ لأحرزوا بهِ القدح المعلَّى وما جاراهم فيهِ مجارٍ

ثمرات المطابع

ديوان المازني — عنيت « الزهور » منذ نشأتها بنشر المختار من الشعر العصري فلم يصدر جزء من أجزائها قط إلاّ وفيه بضع صفحات جامعة لأجود ما نظمهُ في حينهِ كبار شعراء مصر وسوريا والعراق . وكان هؤلاء الأفاضل ، وما برحوا الى اليوم ، يختصّون هذه المجلّة بنفثات قرائحهم حتى حققوا غايتها التي انما أُنشئت لها وهي أن تكون صلة تعارفٍ بين أدباء اللغة العربية في كل قطرٍ. على أننا نأسف أن يكون بين شعراء مصر المجيدين شاعر لم توفّق « الزهور » بعدُ الى عرض شعرهِ الطيّب على قرّائها المتشتتين في الأقطار العربية والأميركية وهو ابراهيم عبد القادر افندي المازني ؛ فان هذا الشاعر العصري كاد أن يكون مجهولاً منّا ونحن مقيمون في مصر وحضرتهُ من أبنائها الأفاضل ، فكيف بزملائهِ الأدباء في سوريا والعراق وغيرهما . وليس حظ سائر الصحف والمجلاّت المصرية بأجمل من حظّ الزهور في هذا المعنى . لذلك يحقّ لنا أن نقول إنّ ديوانهُ فاجأنا مفاجأةً في خلال هذا الشهر، ولكن مفاجئة الحَسَن السارّ

قلّبنا هذا الديوان صفحةً صفحةً فما وقعتِ العين فيهِ على موضوعٍ مبتذل قط . فليس هناك مديح أو رثاء أو تهنئة أو عزاء؛ بل الديوان في مجملهِ مجموعة عواطف جاشت بها النفس فنظمها الفكر شعراً، والشعرَ ما صدرَ عن النفس وأرسلهُ الخاطر عفواً؛ فالمازني بحكم هذه القاعدة المأثورة شاعر مطبوع لا ينظم إلاّ خطراتِ خاطرهِ ، ولا يترجم بمنظومهِ إلاّ

عواطف نفسه . واذا صحّ رأينا فيهِ، ونحن لا نعرفهُ ، كانت نفسهُ أميلَ الى الحزن واليأس منها الى الفرحِ والرجاء . فاننا ما قرأنا لهُ قصيدةً خاليةً من وصف همومـهِ ومتاعبهِ وشكاياتهِ أو من إشارة الى ذلك على الأقل . فكنا نتخيلهُ من خلال معانيهِ عبوس الوجه معقَّد الجبين ليس على شفتيه ابتسام ، ولا في ظواهر وجههِ ما ينمّ عن رضًى في نفسه

وفي يقيننا أن نارَهُ التي لم تطفأ منـذ استهلّ ديوانه في الصفحة الأولى بأبيات « الاهداء » حتى ختمهُ في الصفحةِ الأخيرة بالخاتمة « الى صديق » هي التي أحرقت ألفاظهُ وذهبت برونقها ، وملأت ديوانهُ عواصف وزوابع ، وهموماً وأشجاناً ، وآلاماً وأوجاعاً ، ويأساً ودموعاً حتى اشتبه علينا قول شوقي : خُلِقَ الشاعرُ سمحاً طرِباً

ولقد كنَّا نودُّ لو كان المجال أوسعَ فننشر للقراء شيئاً من قصائدهِ يزيدهم معرفةً بهِ ولكننا نجتزئ بالمقتطفات التالية للدلالة على الاسلوب الذي يسير عليهِ والمعاني التي يتناولها في شعره :

قال بعنوان : فتًى في سياق الموت

نعدُّ أنفاسهُ ونحسبُها	والليلُ فيـهِ الظلامُ يلتطمُ
اذا خروجُ الحياةِ أجهَدَهُ	تساقطت عن جبينهِ الدِّيَمُ
صدرٌ كصدرِ الخضمّ مضطربٌ	جحافلُ الموتِ فيهِ تزدَحِمُ
ان قام ملنـا لهُ بمسمَعِنا	أو نام خفَّت بوطئِنا القدَمُ
كأنمـا الخوفُ من تردُّدِهِ	خَيلٌ لها من رجائِنا لُجُمُ
خلناهُ قد ماتَ وهو في سنةٍ	ونائمَ الجفنِ وهو مخترمُ
قـد قلَّصت ثغرَه منيتُهُ	كأنهُ للحِمامِ يبتسِمُ

وقال بعنوان : حالة ثورة النفس في سكونها

فؤادي من الآمال في العيش مجدبُ ... وجوّيَ مسودّ الحواشي مقطّبُ
تمرّ بيَ الأيّامُ وهي كأنها ... صحائفُ بيضٌ للعيون تقلّبُ
كأنْ لم يخطَّ الدهرُ فيهنّ أسطراً ... يبيتُ لها الانسانُ يطفو ويرسبُ
شغلتُ بماضي العيشِ عن كلّ حاضرٍ ... كأنيَ أدركتُ الذي كنتُ أطلبُ
وما كلّتِ الأيّامُ من فرطِ عَدْوِها ... ولا عطّل الأفلاكَ خطبٌ عصبصبٌ
لقد كان للدنيا بنفسي حلاوةٌ ... فأضجرني منها الأذى والتقلُّبُ
وقد كان يُصبيني النسيمُ اذا هفا ... ويعجبني سجعُ الحمامِ ويُطربُ
ويفتنني نومُ الضياء عشيّةً ... على صفحةِ الغدران وهي تُسبسبُ
فما لي سقى اللهُ الشبابَ وجهلَهُ ... أراني كأني من دمائيَ أشربُ
ومالي كأني ظلّلتني سحابة ... لها من محفوفاتِ الأساودِ هيدَبُ
سأصرخُ إمّا هاجتِ الريحُ صرخةً ... تقولُ لها الموتى ألا أين نهربُ

وقال بعنوان : الملل من الحياة

أكلّما عشتُ يوماً ... أحسستُ أنيَ مُتُّهْ
وكلّما خلتُ أني ... وجدتُ خِلصاً فقدتُهْ
لا أعرفُ الإمن عمري ... كأنني قد رُزِئتُهْ
ما تأخذُ العينُ إلّا ... ما ملّني ومللتُهْ
كأنّ عينيَ مدلو ... لةٌ على ما كرهتُهْ
تُضيئُ الشمسُ لكن ... لاجتلي ما أجتُهْ
ثوبُ الحياةِ بغيضٌ ... يا ليتني ما لبستُهْ

تاريخ الحرب البلقانية المصوَّر[١] — أهدى الينا حضرة الكاتب البارع سليم افندي العقاد الجزء الثاني من كتابه « تاريخ الحرب البلقانية المصوَّر » وهو يقع في ١٥٠ صفحة ويحتوي تاريخ المواقع منذ شهر الجبل الأسود الحرب على الدولة العثمانية حتى ختام هذه المأساة على أبواب الاستانة . والكتاب مصدَّر برسوم الملوك والقوّاد ورجال السياسة الذين كانَ لهم شأن في هذه الحرب . وإنَّ ما يُعرفُ بصاحب هذا التأريخ من العلم والأدب يضمن لكتابه الانتشار التام ولا سيما أن الجزء الأول منهُ قد تداولتهُ الأيدي ، ولقيَ كلَّ ارتياح من جمهور الأدباء

السلوى[٢] — اشتهرت المطبعة الأدبية في بيروت بكل عملٍ حسنٍ ومأثرة غراء . ومن مآثرِها الأخيرة إصدارها مجلةً قصصية أسبوعية سمَّتها « السلوى » ، أودعت فيها أجمل القصص ، وأطيب الفكاهات ، فجاءت سلوًى للشيخ في زاويتهِ ، وتفكهةً للفتاة في خدرها ، وأُنساً للشاب في أوقات فراغه . وهي مكتوبة بلغةٍ سليمةٍ رشيقةٍ ، ومطبوعة طبعاً جيداً أمَّا اشتراكها السنوي فخمسة فرنكات في بيروت وستة في الخارج

فتاة لبنان والرزنامة السليمة — أهدت الينا حضرة الفاضلة الأديبة سليمة أبي راشد نسخةً من روزنامة جميلة وضعتها لمعرفة التواريخ في مدة القرن العشرين ، وهي لطيفة الوضع جميلة الحفر تدلّ على براعةٍ وحسن ذوق . وبهذه المناسبة نذكر أن حضرة الآنسة المشار اليها قد عزمت على إصدار مجلةٍ أدبية باسم « فتاة لبنان » فنتمنى لها النجاح التام

(١) تطلب من للمطبعة الادبية في بيروت
(٢) يطلب من صاحبه بجريدة الاهرام ومن المكتبات الشهيرة وثمنه ٤ قروش

دفع الهجنة [1] — هذا كتابٌ وضعهُ معروف افندي الرصافي الأديب العراقي وقد ضمنَّهُ « عدَّة كلماتٍ وألفاظ عربيةٍ جمعها من اللغة العثمانية » ليتدبَّرها كلُّ أديبٍ عربيٍّ فتكون « واقيةً لهُ من العجمة، وحاميةً من اللكنة » وقد وصف هذه الألفاظ المجموعة بقولهِ « انَّ منها ما استعمله أهل العثماني في غير معناه العربي، ومنها ما لم يكن منها عربياً وهم يحسبونهُ عربياً، وقد أخذها العرب منهم فاستعملوها استعمالهم وهم لا يشعرون » . فوضع حضرتهُ هذه الرسالة وقد سمَّاها « دفع الهجنة في انتضاح اللكنة » ليفرق بين معاني تلك الألفاظ العربية ومعانيها العثمانية ونشرها أوَّلاً في مجلة « لسان العرب » الغراء ثم طبعتها هذه على حدةٍ، فاستحقَّ الواضع والناشر الثناء الطيّب

الزمان — تُعَدُّ جريدة « الزمان » الصادرة في بونس ايرس عاصمة الجمهورية الفضية الأميركية من أرقى جرائد السوريين المهاجرين، وأجلّها فائدةً. فما برحت منذ ثماني سنين تخدم الجالية السورية الخدمات الحسنة وتوفر لها الوقوف على أخبار السياسة وحوادث الوطن، وتنشر المقالات الشائقة في كلّ موضوعٍ نافع . وقد دخلت منذ حينٍ في عامها التاسع، فأصدرت لتلك المناسبة عدداً خاصاً منها مزداناً بالرسوم، مشبعاً بالمقالات الغراء، فلصاحبها الفاضل، ومديرَيها الأديبين ورئيس تحريرها الكاتب البارع كلُّ ثناء على أدبهم الجمّ، وسعيهم المبارك في الخدمة العامة

---

(١) يطلب من مكتبة المنار بشارع عبد العزيز بمصر وثمنه ٤ قروش